على حافة القنال

وقبل ان تبلغ الساعة العاشرة وصلنا الى الاسماعيلية ثم انتقلنا الى القطار القائم الى السويس وكنا نسير على موازاة ترعة القنال فتذكرت حظنا من هذه القناة حيث كان علينا الغرم ولغيرنا الغنم لاننا فتحناها بكدنا وفي أرضنا والذى جنى الفائدة هم الاجانب الذين استحوذوا على كل الاسهم. ولما كانت الآمال لاتنقاد الا للصابرين فلنتذرع بالصبر الجميل حتى يجيء العام الستين من القرن العشرين هنالك تبلغ مصر أمنيتها من امتلاك القناة

دعاية الى الحج

وقد أرادت الحكومة ان تعمل هى الاخري دعاية الى الحج من جانبها (وأنعم بها من دعاية) فخفضت للموظفين والعلماء مع عائلاتهم ربع المصاريف وقد عم هذا التخفيض أيضا المتقاعدين ولكن بغير عائلاتهم فانتفعت به وان كان عن أجرة الباخرة فقط

على شاطئ الخليج

عندما مالت الشمس الى الزوال أو تكاد وقف القطار علي رصيف محطة السويس وكانت أوامر السكة الحديد تقضي بأن الحمالين لا يصعدون الى دواوين الركاب فكنت اذا لم أجد فراش العربات استعين بساعدي الضعيف فأناول الامتعة للحمال من نافذة القطار

وكان سماسرة النزلات (اللوكاندات) يتلقون القطار ليتصيدوا الحجاج

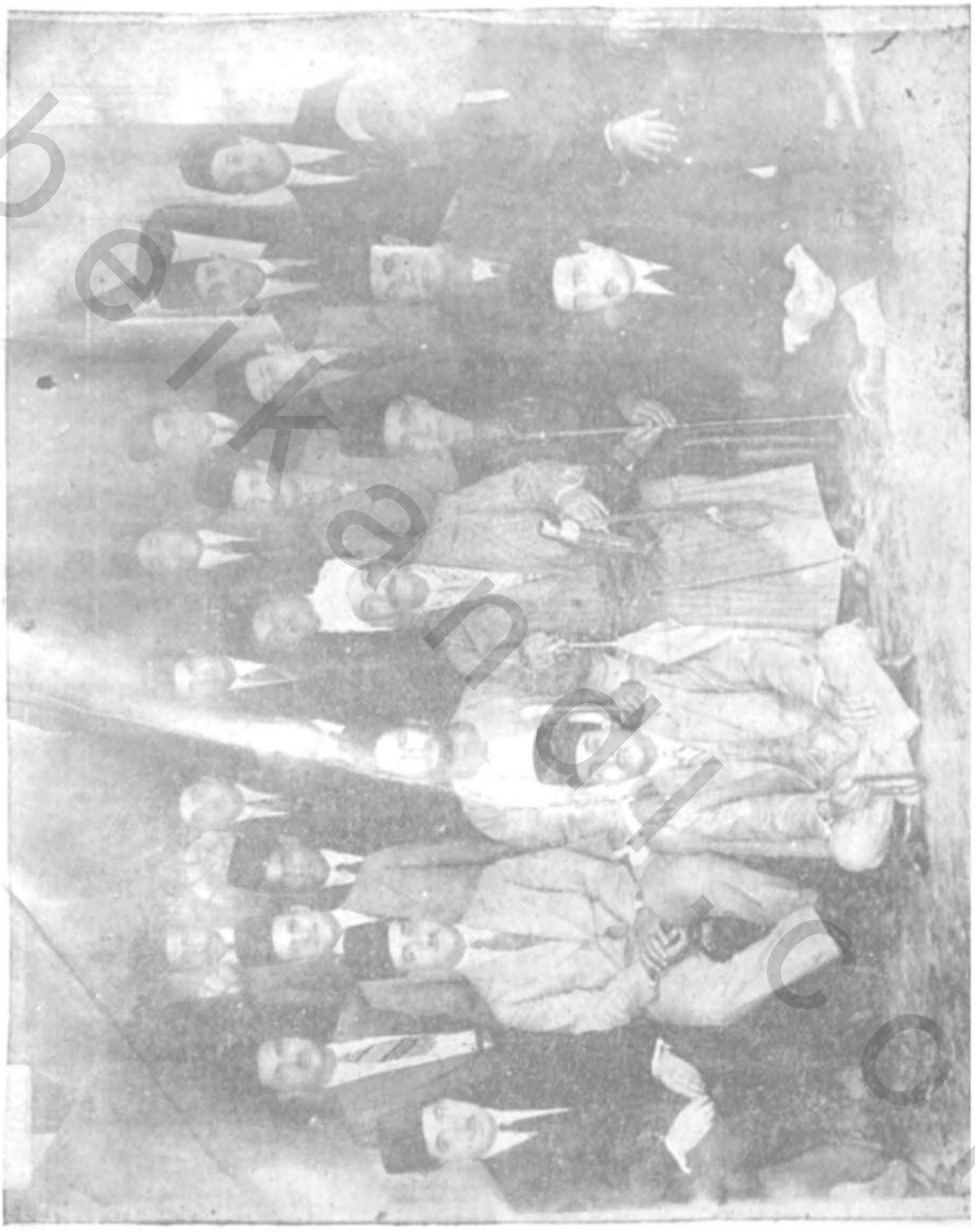

حفلة الوداع

obeikandl.com

الى نزلائهم فجاء أحدهم وأطنب فى وصف (اللوكاندة الكمالية) الكائنة بشارع حليم فوافقته ورافقته اليها وقد حمل الحمالون الامتعة على عربة يد والذى أعجبني فيها أنها هادئة وأن أصحابها وطنيون وأيضا متواضعون وكان بالطبقة الارضية منها حجاج مصريون سررنا لمرآهم وغنائهم ومرحهم أما نحن فتسلمنا الغرفة رقم ٤ خصيصة بنا بالدور العلوى وهي تحتوى على سريرين ومقعد للجلوس ولم نستعمل الا فراشنا

كان لزاما علينا ان نذهب الي قلم الجوازات بالمحافظة للتأشير على جوازينا كما اشرنا عليهما سابقا من الوكالة العربية بمصر فبعد أن حطينا رحالنا قمنا توا الى هذا القلم ولما سلمناه الجوازين عرفنا بأن ننتظر حتي يعلن عن قيام الباخرة (باعلان يعلق على اللوحة أمام شباك القلم) عند ذلك نحضر لاستلامهما

فعل الخير

وقد طلب منا تبرعات لجمعية المواساة وجمعية أخري دفعناها عن طيب خاطر أما سوى هذا فاننا كنا نقرأ منشورات الداخلية وهي تحذر الجمهور (من دفع نقود لاحد) ولما قدمنا الطلب الى مأمور القسم نبه علينا كذلك وكذلك عندما استلمنا الاستمارات من القسم ودفعنا النقود الى المحافظة الى أن استلمنا الاورنيك نمرة ٢٠٥ . وهذه خطوات مسددة تخطوها الحكومة للتفاهم مع الجمهور لانه طالما أرهق أعوان الحاكمين مثل هؤلاء الحجاج فى الاتعاب أو (البقشيش) كما يسمونه . والرشوة على كل حال جرثومة خبيثة يجب ان نجتث من جذورها والحمد لله قد أصبحت وشيكة الوصول الى دور الاحتضار

وعلى هذا مضينا يومنا الذي هو يوم الخميس ١٤ القعدة الموافق ٢ ابريل وانني اتيمن بيوم الخميس هذا فأجعل فيه سفري وأيضا أتحراه لا تطلب فيه أم حاجاتي لأنه قضيت فيه حاجة سيدنا ابراهيم الخليل عندما ذهب الى ملك مصر ليتسلم السيدة سارة الخليلية

صلاة الجمعة والخطابة

أصبحنا في اليوم التالي وقد أردنا أن نؤدي فريضة الجمعة بمسجد سيدي الغريب ولما حان وقتها ارتقى المنبر أحد الاشياخ (وكان من مودعي الحجاج) وأخذ يخطب فحمد الله بمحامد كانت تسترعي الاسماع وتأخذ بالالباب وصلى على نبيه الكريم بكلام مؤثر بليغ ثم انبرى يناجي المنبر الذي يعتليه ويبين مزايا المنابر ومن يهزون أعوادها بالحكمة والموعظة الحسنة التي تصل الى أعماق نفس السامع فترده الى رشده ثم انتقل الى الكلام عن منبر سيدنا ومولانا خطيب الامم صلوات الله وسلامه عليه الذي صنعه له الغلام الانصاري النجار من ثلاث درجات وكيف أنه لما انتقل اليه حن الجذع الذي كان يخطب عليه قبلا وبكي لفراقه كما يبكي الفصيل عند فطامه وأخذ يبين الخطيب أن هذه المعجزة أفضل من معجزة سيدنا المسيح عيسى عليه السلام في احياء الموتي لان الميت سبقت له الحياة فلا يستبعد أن تعود اليه أما هذا الجماد فلم تسبق له حياة ثم صدر منه ما يشبه الكلام وهو البكاء وكنا نصت الى الخطبة وقد سرى مفعول السحر الحلال من نفوسنا حتى تمنينا أن يطول الوقت فيطيل هو من هذا السلسبيل

أما اهل السويس فانهم أصحاب أعمال وهم يودون سرعة الانصراف الى أعمالهم ولهذا حصل منهم ضجة وغوغاء اضطر معها الخطيب أن يقصر

من كلامه وينزل الى الصلاة وبعدها ارتقى كرسي الوعظ وألقى كلمات طيبة تحث على مكارم الاخلاق

الحث على الاجتماع

بين انفراج الشفاه عن بسمات الغبطة والسرور وعند تلألىء الجباه بفيوضات الهنا والحبور كانت تنبسط النفس فتذهب الى البحث في الحكم الرائعة التى بني عليها التشريع فى هذا الدين القويم

انظر الي الحكمة من الحث على صلاة الجماعة حتى يجتمع أهل الدرب أو الحارة ويتباحثون فى شؤون أحوالهم الخاصة بدربهم أو حارتهم

ثم ارجع البصر الى الحكمة من صلاة الجمعة تراها لاجل ان يجتمع اهل الخط او الناحية وينظرون ايضا في صالح خطهم او ناحيتهم

وفى هذه الحكمة أيضا ناحية من نواحى الحث علي ضرورة الاجتماع لان الانسان مدني بطبعه والدين الذى اختير له هو دين اجتماعى عمرانى حنيف . وقد التفت الافرنج الى اقامة النوادى كما كانت تفعل العرب وكان لنا اجتماعات راقية زاهرة (بالمنادر) العامرة استبدلناها الآن بالمحال العمومية ومشارب القهوة وفى هذا على الاخلاق بلاء عظيم

الخطب فى عز الدولة

سرح الفكر هنيهة فى حالة الاسلام وقد مضى عليه أحقاب طويلة وهو يتعثر فى الحواجز الشائكة التى وضعت في طريقه وقد اغتبطته الامم لانه وصل من الرفعة الى السماكين حتى كان أمير المؤمنين المأمون الخليفة العباسى يتطلع الى السماء ويخاطب السحب بقوله (سيرى أني شئت فستمطرى

لى ذهبا) يعني بهذا أن السحابة مهما قذفت بها الرياح لابد أن تلقى حملها من الماء فى بلادالاسلام لسعة ملكه كما يفتخر الانجليز الآن (بان الشمس لا تغرب عن أملاكهم)لان الزمن فى كندا غيره في افريقيا مثلا وقد كان خطيب الامم صلوات الله وسلامه عليه اذا اهمه من امر الاسلام شيء صعد المنبر وخطب الناس فيما ينفعهم فى الحياتين وقد حذا الصدر الاول من الاسلام هذا الحذو وكذلك أخلافهم

الخطب الدخيلة

الي أن وجد الدخلاء منفذا يتوصلون منه الى الفت فى عضد الاسلام فالفوا كتب الخطب الركيكة المسجعة التى يقولون فيها لا تركنوا الى الدنيا وازهدوا فيها وطلقوها بتاتا وهكذا من الالفاظ التى تقعد بالهمم وتثبط العزائم فاستكان العامة لقولهم وقنعوا بشظف العيش بينما الامم الاخري تدأب على السعى الحثيث حتى بلغت شأوا عظيما من الرقى والحضارة والحمد لله قد ابتدأنا أن نفتح أعيننا بعد الرقاد الطويل لما ينبهنا به جماعة الوعظ والارشاد ويحضوننا على الاخذ بقوله تعالى (وأبتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)

ليس عليها جديد

يقولون أن ليس على وجه الارض جديد وقد تحققت هذه النظرية بما وجدوه بمدافن الفراعنة العظام من صور شتى ترسم أنواع الآلات الحديثة ومنها آلة التليفون ويذكرني بهذا الحديث وصول ناس هذا الزمان الى مدي بعيد فى الاختراع حتى صار التليفون الاثيرى يتكلم

به سكان نيويورك مع أهل لندن وقد استفدت انا الآخر بهذا الاختراع فكنت أكلم أهلي بالتليفون الخاص بنا بمصر مدة اقامتنا بالسويس كأننا كنا معهم والفضل فى هذا للذي علم الانسان مالم يعلم سبحانه وتعالى

الحاج العزيز علي قومه يشيعونه الى السويس اما انا فقد اردت أن لا أشق على احد ولا ارهق الجيوب التى أنهكتها الازمة ومع هذا فقد دعى الحنان أحد اخوتي لان يحضر لتوديعي فنزل عندى ضيفا كريما واتخذت له غرفة خصيصة به بالنزل

اصبحنا السبت فاستلمنا الجوازات واعلمنا عن قيام الباخرة في اليوم التالي وقد مضينا الليلة كسابقة الليالى فى هناء وصفاء

فهذه ثلاث ليال سويا اقتناها بهذه القاعدة البحرية العظيمة ومفتاح خليج السويس ومرفأ القطر لهذا البحر الاحمر العظيم وكانت هذه الايام الثلاث تمدغرة فى جبين العمر لانتعاش نفوسنا بالفرح بعز اللقاء

الى بور توفيق

استيقظنا مبكرين فى صباح الاحد الموافق ١٧ القعدة و ٥ ابريل ثم حضر عندنا عربجي النقل بأيعاز من حسن يوسف الشيال (الذى سلمنا بطاقته يوم وصولنا) وحمل الامتعة الخاصة بنا مع امتعة أناس آخرين نازلين معنا اما نحن فقد ركبنا سيارة اوصلتنا إلي بور توفيق التى هى مينا السويس وهناك تلقانا الشيال حسن يوسف وقد تسلم العفش ليوصله الى مقرنا بالباخرة

عطف الاصدقاء

لي صديق حميم وزميل قديم هو صاحب العزة الميرالاى محمد بك

احمد المسيري مدير ادارة الحج والمحاجر الصحية وقد اردت ان انتفع بهذه الصداقة واراد هو بدوره ان يظهر عطفه على اخيه فكانت توصية وكان اعتناء . وانه وإن كان صديقنا العزيز قد وجه الينا عناية يشكر عليها إلا ان هذه العناية كانت تشمل الجميع ايضا لما جبل عليه من مكارم الاخلاق والادارة الحازمة والحمدلله حيث لم تكن هذه التوصية من نوع المحسوبية الممقوتة التي تتغلغل في احشاء الادارة فتجعلها معتلة مختلة وتعرقل تقدم الاعمال. نعم انه يوجد من هذا النوع محسوبية لها خطورتها من النفع والضرورة كان يأتي وزير فيعين خلصائه ابتغاء مساعدته فى اقامة منار العدل والقسط كما كان يفعل سيدنا عثمان بن عفان فى تعيين اقربائه الامويين للمناصب العالية اجتهادا منه حتى يساعدوه فى تدبير أمور الدولة بأمانة واستقامة كما يعهده فيهم

أضف إلى هذا أنك تجد حكام اليوم غيرهم بالامس حيث كنت فيما مضى تري أصغر عسكري يركل الحاج برجله او يلكمه بيده لاتفه الاسباب اما الآن فان مسافة الخلف بين الحاكم والمحكوم قد تقاربت وأصبحا يتبادلان العطف والاحترام هذا ومن جهة اخرى فان الامة قد تنبهت لحفظ كرامتها فهي لا تقبل النزول على الضيم او الرضا بالعسف وسوء العذاب

فى المباخر

دخلنا الى المباخر المعدة لتطهير الحجيج بعد ان ودعنا اخانا العزيز وانتظرنا إلى ان تتم الاجراءات اللازمة للنظافة والتبخير والحق اقول انها عناية من الحكومة في المسائل الصحية تشكر عليها كثيرا ولقد أعجبني جدا

انتباه عمال التبخير لواجباتهم وأيضا أكبرت فيهم الامانة والعناية ولو يطاوعنى القلم لكتبت عنهم طويلا ولكن المدي واسع أمامه فتراه مضطرا لهذا الاقتضاب

على سطح الماء

رايتنا المحبوبة

صعدنا الي سلم الباخرة وتقابلت مع أخينا البكباشى حسين بك يسري (وهو بالمعاش الآن)ومندوب سعادة أمين يحيي باشا في ملاحظة الباخرة أداريا فاكرم وفادتي وسلمنا غرة نظيفة(هى إحدي غرف الباخرة)وكانت خصيصة بنا نحن الاثنين

وهذه الباخرة اسمها (دمشق)احدي باخرتين استأجرهما سعادة أمين يحيي باشا من شركة فرنساوية والثانية اسمها (بلجرانو)وقد تقدم يحيي باشا الى مناقصات فى عطاءات عن نقل الحجاج فرسي عليه العطاء ولكن لسوء الحظ ان كان عدد الحجاج قليلا فى هذا العام وكنا نأمل ان لو ساعده الحظ وتسنى له انشاء شركة بواخر مصرية تمخر عباب البحار وهى ترفع رايتنا المحبوبة لارتاح البال وكنا نعد انفسنا أمة ولو كاليونان مثلا التي لم تبلغ معشار عددنا وعندها الاساطيل والجيوش الجرارة .

وكانت تخفف من لوعة الحسرة التى لازلنا نكابد عناءها من يوم ان باعت الحكومة المصرية بواخر البوستة الخديوية للشركة الانجليزية بصفقة خاسرة . كذلك وكنا نمحو من ذاكرتنا ذلك الافتيات على حقوقنا بالضغط على

الرجل الحازم الذى كان يريد ان يرفع رأس مصر عاليا وابتدأ في انشاء شركة بواخر مصرية بادارة حضرة بك واجبروه على حل هذه الشركة حتى ينفردوا هم بتحويل مجرى الكسب والثروة اليهم

ولقد سبق ان نفذت بصيرة سيد العرب الي خريطة المعمورة فرأى بثاقب فكره ان من يمتلك نواصى البحار يسيطر على اليابسة بما رحبت فحث قومه على اعتلاء متن اليم بقوله الحكيم (من هاضه البحر فمات فهو شهيد) وقد أخذ أهل الغرب بهذه النظرية العالية حتى تنازعوا سيادة البحار ونحن أصحاب الفكرة وقفنا مكتوفي الايدى ولا نبدى حراكا فعسى ان نتلافى هذا النقص فى كيان قوميتنا .

قيام الباخرة

أقلعت الباخرة بعد الزوال بقليل وسارت بسم الله مجريها وكان يجول بالخاطر شيء من الأسى لفراق الوطن ولكن الحنين الى اللقاء العظيم في أسمي وأقدس مكان حبس العبرة التى كانت تريد ان تفيض وكانت الباخرة ترفع راية مصرنا المحبوبة فكانت نفوسنا تطيب لمرآها الوسيم

الحج مرة فى العمر

انه وأبيك لفراق شاق لاننا تركنا العيال وتركنا المال تحت رحمات القدر ولعظم هذه المشقة قد نظر مولانا اللطيف الرحيم نظرة حنان الى عبيده الضعفاء ففرض علينا الحج فى العمر مرة واحدة وبعضهم يقول انه على التراخى وشرطه مع الاستطاعة التى منها أمن الطريق وتوفر الزاد والراحلة وغير ذلك مما هو واضح فى كتب الفقه (ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدي للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان

آمنا . ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) - قرآن كريم -

الطعام فى الباخرة

كانت تنشرح صدورنا لهذه المناظر الخلابة منظر البحر والباخرة تمخر عبابه فى سكون وهدوء وهي تتهادي كالعروس عند زفافها وقد طابنا الاكل من مطعم الباخرة (الاستراتور) فجاء به الخادم (الجرسون) فى القمرة بعيدا عن الاختلاط في نظير مبلغ خمسة وسبعين قرشا مصريا ندفعه يوميا . وقد تسرب الوهم الينا بأن دوار البحر ربما يؤثر علينا ولكن شيأ من هذا لم نحس ولم نشعر به مطلقا كأن العناية الصمدانية التى سخرت البحر لموسى أرادت أن تهدأه لنا حتى لا يشوب هذا الشعور المنعش الجميل أى تنغيص

ومن عادة البحر الاحمر عدم السكون في معظم أوقاته حتى وفى خليج السويس الذى يري الانسان شاطئيه بالعين المجردة وخصوصا فى البقعة المعروفة ببركة فرعون

غرق فرعون

ولما كان الشيء يذكر بالشيء فاننا نذكر نعمة الله تعالى علي بني اسرائيل حين جاوزوا البحر وقد انفلق اثني عشر فرقا فكان كل فرق كالطود العظيم وكان من رحمة الله تعالى بهم أن جعل كل سبط يمشى في درب من الاثني عشر دربا التى تفتحت لهم وبينه وبين جاره نوافذ ليأنسوا برؤية بعضهم حتى انجاهم من عدوهم ولما اتبعهم فرعون بجنوده انطبق البحر

عليهم فهلك هو ومن معه اجمعون

ولغرق فرعون هذا قصة لاتخلو من تفكهة وعبرة وذلك أن ملاكا ذهب الى هذا الفرعون فى زى انسان ومثل بين يديه فى اليوم الذى يباح فيه للشعب بمقابلته وقد استفتاه في غلام أبق منه ماذا يكون جزاؤه ؟ فأجابه فرعون (جزاؤه الغرق) فطلب منه أن يكتب له هذه الفتوي فكتبها له على ورق البردي ولما جاء فرعون على شاطيء البحر الاحمر واراد ان يدخل فى اليبس الذى انحسر عنه الماء ليلحق ببنى اسرائيل جفل حصانه فجاء الملك وركب فرسا أمامه ليغري الحصان على النزول ولما كان فى وسط البحر اراه فتواه فعرف انه هو العبد الآبق وهذا هو سبب المثل الذي يقول (فرعون مسكوه بخطه)

ولقد ثبت فى التاريخ أنه حصل من بني اسرائيل زلة ما كان يحسن بهم أن يقابلوا الاحسان بغير الاحسان وذلك أن أقدامهم لم تجف بعد من طينة البحر الاحمر حين انجاهم مولاهم من عدوهم وخرجوا الى البر فوجدوا نفرا يعبدون أصناما فقالوا ياموسي اجعل لنا الها كما لهم آلهة

وكان غرق فرعون هذا في يوم الاربعاء حتى تجد اغلب الناس يتطيرون من هذا اليوم وانه فضلا عن غرق فرعون فيه فقد ولد فيه سيدنا يوسف الصديق فأصابه ما أصابه من السجن والتغريب وولد فيه أيضا سيدنا ايوب فجرى عليه الكثير من البلاء والتعذيب وبعضهم يقول ان التشاؤم هو من يوم الاربعاء الاخير من الشهر الذى يسمونه (اربع لا يدور) ولكن عندنا ان يوم الاربعاء هو يوم يستجاب فيه الدعاء بعد الزوال لان سيد الكائنات دعي الله فيه يوم الاحزاب فنصره بريح الصبا هدمت مضارب الاعداء وكفأت قدورهم كما قال تعالى (يا ايها

الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا)

فى زمن الدراسة

كذلك وقد عادت بي الذكرى الى زمن الطفولة ايام كنا بمدرسة القريبةوكان زميلنا التلميذ النابغة مصطفى كامل (ك) هو المفرد العلم بها لما امتاز به من حسن الصفات ومن النباهة والفصاحة حتى كأنه خلق ليكون زعيما وكان من امره ان اتبع الناس مبادئه العالية فى الوطنية وتيقظت الامة بعد ان كانت فى سبات عميق فهو بغير مراء قدوة الزعماء اذ الفضل للمتقدم على كل حال وكان من لدائدنا بالمدرسة ايضا عبد السلام بك فهمى وابراهيم بك فوزي وحسن بك حسني ومحمد بك زكى وكثير غيرهم . تذكرت هؤلاء الاتراب وتذكرت الرموز والاحاجي التى كنا نتذاكر فيها وضمنها هذا السؤال الجغرافي.(اخبرني عن بقعة من الارض لم ترها الشمس الا مرة واحدة فى العمر ؟) وهي بالطبع هذه الارض التى تفسح عنها ماء البحر الاحمر حتى سار عليها بنو اسرائيل

ليس بها نوافذ

ولما كان من عادة الصفو ان لا يرافق الحياة فى كل ادوارها فقد صادفنا عناء يقلل من هذا الصفاء حيث كان جو القمرة حارا جدا لانها تواجه افران الباخرة مباشرة وليس بها نوافذ كافية لجلب الهواء .وكانت هذه الاخرى احدى نصائح الدهر لانها تذكرنا بحر سقر حتى يقلع الانسان عن التمادي فى الغي والطغيان . هذا وقد نوهنا عن هذه

الحرارة حتى اخذت في دفتر الاحوال عند ضابط البوليس المعين بالباخرة

المياه بالباخرة

وكانت المياه العذبة تصرف لكل من الحجاج بقدر معلوم وتصرف فى اوقات معينة يحضرها البوليس ويلاحظها مندوب الباخرة وبيده مفاتيح الفناطيس التى ملئت من نهر النيل المبارك . وطريقة صرفها ان يقدم الحاج جوازه الى ضابط البوليس فيسلمه (ماركة) ليصرف بمقتضاها من العسكري الذى عليه النوبة عند المياه فيملأ الحجاج زمازمهم واوعيتهم بما يلزم لشربهم اما الوضوء والاستحمام فيؤخذ الماء اللازم لهما من ماء البحر

اشرقت شمس اليوم الثاني بالباخرة والجو صحو والنسيم عليل والبحر هادىء والطقس جميل والسفينة تتهادى فى المسير فكنا نسبح بحمد اللطيف الخبير

المواقد وتسوية الطعام

وكان محظورا على الحجاج ان يوقدوا مواقد الاسبرتو والبترول اتقاء حدوث حريق كالذى حصل فى باخرة الحجاج المغاربة فى العام المنصرم أمام ثغر جدة (ولا تزال بقايا الباخرة المحترقة هناك)

وعندما يريد احد من الحجاج ان يطبخ طعامه او يسوي الشاي او القهوة فيكون ذلك بمطبخ الباخرة (وبالاجرة طبعا)

مبيع المأكولات بالباخرة

ويوجد أيضاً بالباخرة (كنتين) لمبيع البقول والخبز والخضر المطبوخة

باللحم والفول المدمس والفواكه والشاي والقهوة وغير ذلك وبالطبع ان الاسعار في البحر غيرها في البر وهذا الغلاء ليس منشؤه الطمع أو الغبن ولكن الضرورة تقضي به لانه توجد أصناف قابلة للتلف مثل تعفن العيش والفاكهة أو حموضة الطبيخ ولو حصل شيء من هذا يكون من نصيب السمك وهذه الحالة لها قيمتها من الحساب عند التسعير وكذلك أتعاب العمال وطريقة حصولهم على الكسب فانهم بعد سفر الباخرة وتفريغها يستمرون بدون عمل حتى تستعد الباخرة الى دور آخر وهذه البطالة لها قيمتها أيضاً من النظر

الطير ابو قردان

وكان يزيد الحال جمالا على جمال انه كان يحلق فوق الباخرة طيور جميلة تشبه الطير المعروف عندنا (بابي قردان) ولا تختلف عنه الا فى اللون فقط

وانى أتكلم هنا عن ناحية من نواحي الحياة فى مصر على ذكر الطير الانيس (أبي قردان) حيث كنت أرى فى صغرى الفلاحين وهم يطاردون هذا الطير النافع مطاردة عنيفة إلى ان جاء المفكرون من الامة وجاءت وزارة الزراعة أيضا ينصحون للناس ويذكرون لهم منافع هذا الطير الوديع وانه صديق الفلاح الحميم حيث يساعده فى تنقية الدودة من القطن لانه يجعلها غذاءه هذا عدا انه يأكل الحشرات الضارة بالزرع ولما عرف الفلاح له هذا الفضل لم يمسسه بسوء حتى تراه اليوم اليفاً يقف وسط الحقل يمرح بين الفلاحين وهم في عملهم

الامام والطبيب

وكانت الحكومة تعين لكل باخرة إماما يبين للناس فيها مناسك الحج

فكان إمامنا يقوم بهذا الواجب خير قيام

وكذلك تعين الحكومة طبيبا لكل باخرة وكان طبيب باخرتنا شابا دمث الاخلاق حسن الطباع

تعداد الركاب

وكان ركاب الدرجة الثالثة يتفسحون فى كل أنحاء الباخرة حتى انهم كانوا يزحمون الاماكن المعدة لاستراحة ركاب الدرجة الاولى والثانية ولم يكن أحد منا يسأم أو يتذمر لانه سفر سعيد يقصد به وجه الله تعالى ولا معنى للفوارق مادامت الراحة متوفرة

وركاب الدرجة الاولى والثانية ٨٠ نسمة بينما ركاب الدرجة الثالثة ٧٩٠ نسمة وكانوا يسكنون العنابر التحتية أو سطح الباخرة (الكوكرتة) وكان يحصل لبعضهم شيأ من هيضة البحر إلا انه قليل جدا لمناسبة هدوءه وكانوا يستعملون المراوح (المانيجة) لسكان العنابر فكانت الراحة متوفرة

حمامات الباخرة

وكانت الحمامات كافية لاستحمام جميع الركاب وكان ماؤها اجاجا الا انه كان يتسنى لبعضهم أحيانا استعمال الماء العذب من الفايض عن حاجة شربهم

ميقات الاحرام

وفى ظهر اليوم الثالث (الثلاثاء) صفرت الباخرة ثلاث مرات اعلاما بأننا اقتربنا من موازاة بلدة رابغ (الجحفة) التي هي ميقات أهل مصر للاحرام (وهي كائنة على الشاطىء الشرقي من البحر الاحمر وبينها وبين جدة

فى الاحرام

obeikandl.com

نحو الست ساعات بسير الباخرة) فخلعت ملابسي العادية ولبست ازارا (أي تحزمت ببشكير) ولبست رداء (تلفحت ببشكير آخر) وهذا في اصطلاح الشرع الشريف (عدم لبس المخيط والمحيط)

ما أحسنها من ذكرى وما أروعها في النفس حيث يتجرد الانسان من ثيابه ويعرى رأسه اعظاما واحتراما للامر القادم عليه وهو المثول أمام عتبات البيت العتيق المطهر وما أجمل التلبية التي يلبي بها المحرم عند كل مناسبة (لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك)وقد لبست صاحبتي أيضا ثيابا بيضاء والمرأة تحرم بوجهها ولها أن تغطي رأسها وتستر شعرها ولها أن تسدل ثوبا خفيفا على وجهها من فوق رأسها سدلا خفيفا تستتر به من نظر الرجال اليها وقلنا في نية الاحرام للعمرة (نويت الاحرام بالعمرة وأحرمت بها لله تعالى لبيك الخ) وصلينا ركعتين سنة الاحرام هذا وقد يجزىء الوضوء عند تعذر الاستحمام

اعلام الحجاز

ما أجمل صباح الاربعاء ٢٠ القعده ٨ ابريل والغزالة تطل من كناسها وهي تشمخ بانفها لعلمها ان الباري جل شأنه جعل العالم الكوني ينتفع منها بالحياة وبالحرارة وبالنور وكان يزيد بهاء ظهورها ظهور الشاطيء المقدس معها

ظهرت أعلام الحجاز فكانت قرة عين للناظرين . ظهر ثغر جدة المبارك وألقت الباخرة مراسيها عند الساعة الثامنة صباحا ووقفت بعيدا عن الشاطيء على بعد الميل وكسور الميل لانه توجد أراضي عالية وشعاب بالمينا تمنع البواخر من الدنو الى الرصيف والركاب والامتعة ينقلون في مراكب

صغيرة شراعية تسمى السنابك وذلك على حساب المتعهد لانه يدخل ضمن أجرة الباخرة

هذه ثمان وستون ساعة قطعت فيها الباخرة المسافة من السويس الى جدة وتبلغ هذه المسافة ٦٤٦ ميلا

القنصل والمندوب

أقبل زورق بخاري يقل حضرات قنصل مصر فى جدة ومندوب وزارة الداخلية والطبيب المصري وعند ما وقعت أنظارنا على العلم المصري يرفرف على هذا الزورق الهبنا اكفنا بالتصفيق تحيه لعلمنا المحبوب ولفرحنا بهم أيضا لانهم مواطنونا ولاننا نغتبط بعناية الحكومة بمصالح شعبها وهؤلاء هم أمناؤها على النظر في هذه المصالح

وكم كنت أود أن يسود الوفاق وحسن التفاهم بين بلادنا العزيزة وبين الحجاز حتى تتسهل مأمورية القنصلية المصرية ولي كلمة في هذا الموضوع أرجئها الي مناسبة الكلام عنه

صعد هؤلاء الى الباخرة ومعهم طبيب مملكة الحجاز وبعد عمل الاجراءات الطبية واستلام قيمة الرسوم الخاصة بمملكة الحجاز وقدرها ماية قرش وستة قروش مصرية عن كل حاج بعد كل هذا تصرح بنزول الحجاج

وكان الحجاج فيما مضي يدفعون رسوم كل جهة على حدتها وقد أحسنت الحكومة صنعا بتحصيل هذه الرسوم صفقة واحدة ثم هي تسلمها الجهات اختصاصها

سفينة السعادة

وقد جاءنى غلام من أهل جدة يدعوني الى النزول فى فلوكته

أولى من النزول مع الحجاج فتحصل مضايقه ويحصل تلف المتاع ولما وجدت مشورته ناضجه نزلت معه أنا وصاحبتي ومعنا العفش يحمله الولد علي مرات ولا تنس أن الاخراج كانت لها قيمتها عند الحجاج من التقدير والاعجاب

كنا أول من نزل من الباخرة ولما استقر بنا المقام في الفلوكة صرنا نلبي ونحن مغتبطين فرحين وسارت الفلوكة بنا تحفها عناية الله تعالى الى أن وصلنا الى الرصيف وبالطبع أن نصيب المراكبي كان بمقدار تقديرنا لسفينته حيث كنا نعتبرها كسفينة النجاة التي توصلنا الي العز والسعادة

إلى الشاطئ المقدس

كنا والحمد لله أول من خطى الى الرصيف فقابلنا عمال المينا وأشاروا الينا بالخروج وقد تركنا الامتعه حتى تعمل عنها الاجراءات اللازمه

المطوف

كل حاج يريد أن ينزل الى الاراضى المقدسه بالحجاز لا بد له أن ينزل في كنف رجل مطوف تعترف به الحكومه الحجازية رسميا ويكون هذا المطوف مسؤولا أمامها عن كل الحجاج الذين ينزلون عنده ويعطى عنهم المعلومات الكافيه ويحصل منهم الضرائب اللازمه لها. وكان معي جملة أسماء من المطوفين وضمنهم رجل اسمه حسن افندى كتوعه موظف بوظيفه أمين صندوق رسوم الرصيف بكمرك جدة وقد اشتغل في مهنة المطوفين من العام الفائت وقد دلني عليه أحد المعارف فتخيرت أن

انزل عنـده . ولما خرجنا من باب المينا وجـدت وكلاء المطوفين فى انتظار الحجاج وهم كثيرون جدا ولما سئلت عن مطوفى عند الباب أخبرتهم عن اسم حسن افندى كتوعة هذا فتقدم الي وكيله الحاج محمد باتان وهو رجل بشوش الوجه رقيق الطباع ومعه اخوه الحاج احمد باتان وهو أيضا رجل مؤدب فسلمته الجوازين الخاصين بنا ثم أحضر الامتعة من الكمرك وحملها على عربة نقل تشبه عربات (الكارو) عندنا

وقد حضر حسن افندي كتوعة وسلم علي سلاما طيبا ورحب بى كثيرا وقد رأينا منه رجلا لين العريكة دمث الاخلاق

نداء سيدنا ابراهيم

لما فرغ سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام من بناء البيت العتيق المطهر صدر له الامر الكريم فى قوله تعالى (وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) فهجس فى خاطره (والى أين يبلغ مـدى صوتي الضعيف ؟) فاجيب من طريق الالهام العالى (انما عليك النداء وعلينا البلاغ) فارتقى أبا قبيس ونادى باعلا صوته (إن لله بيتا فحجوه) فرددت جميع الاكوان صدى صوته حتى وصل الى مسامع الارواح في علم ربها ومن لم يجب منها فلا حج له ومن أجاب مرة فله الحج مرة ومن أجاب أكثر فأكثر . ويظهر أن روحى أجابت غير مرة حيث سبق أن حظيت بالحج منـذ واحد وعشرين عاما وقد من علينا الكريم بالحج هذه المرة أيضا في جو حر طليق مع الرخاء واليسر

ولقد ضمنى مجلس سمر مع أحد الاصحاب فتجاذبنا أطراف الحديث حتى

في زمن الحج السابق

obeikandl.com

أفضى بنا الى ذكر المجتهدين من الوطنيين ومن بينهم رجـــل يستعمل وسائل النشر بطرقه المختلفة وقد نوه عنه صاحبي بأنه يتبع الطريقة الامريكية فقلت له ولماذا لا تقول انه يتخذ طريقة خليل الله في النشر عن بيت الله ؟ ألم يكن نداء سيدنا ابراهيم هذا هو تعليم لنا على اتباع النشر وقد سبقتنا اليه أوروبا وأمريكا حتى لا يعلن أهلها عن التجارة فحسب بل وحتى الاسئلة البسيطة يستعملون النشر عنها فى صحفهم

وكيل المطوف

يقول الحاج محمد باتان — كنت أحسب أن عائلتكم القادمة الى الحج كبيرة جدا (يقصد أنها مركبة من خدم وحشم وجواري وعبيد) لان الذي عرفه عن قدومى بالغ له فى شخصيتى واعتبارى حتى توهم ما توهم والآن لا يري أمامه الا رجلا فردا ومعه زوجه فحسب

على رسلك يا باتان . ان الرجل منا والحدر الى مزالق التبذير لا يقوم منها الاصفر اليدين خصوصا ونحن فى حاجة الى المال كاحتياج الظمأن الى الماء الزلال لأن الازمة قضت على كل رطب ويابس . هذا ومن باب الاقتصاد فى النفقات يمكنك الاستغناء عن الخدم وتكلف من تريد بقضاء حوائجك ازاء أن تبسط كفك بالعطاء

نزلنا بدار باتان التى يمتلكها وهي دار فسيحة فى ترتيبها الشرقي الجميل وبواجهتها الرواشن (المشربيات) المخروطة بشكل عربي متقن وأغلب الدور فى البلدة كلها بهذا الشكل . وهي كائنة بجوار السوق وقد استلفت نظرى أثناء المسير أن كل الدور اصبحت ويوضع على كل دار منها رقم خاص بها وأيضا كتب على كل شارع لوحة باسمه وكانت هذه أول

استبشاري بتقدم النظام وقد أخذنا مكانا خاصا بنا نزلت به مع صاحبتي

ولقد نزل بناحية أخرى من الدار جماعة من أهل قنا بصعيد مصر يبلغ عددهم أربعة أشخاص ومع أحدهم زوجه ويرافقهم أحد اهالي مصر اسمه الحاج محمد سليمان عرفني بنفسه لداعي نزولنا عند مطوف واحد وقد رأيته وتبدو عليه علامات الصلاح والتقوى

فى طرقات جدة

بعد أن استرحنا قليلا تمشينا بين طرقات جدة ومررنا على القبر الذى يقولون عنه انه للسيدة حواء أم البشر . وقد رأيت أن العمران قد امتد الى البلد - فحصل بعض التحسين فى البناء ولكنها لا تزال محافظة على شكلها الشرقي وهي بلد تجارية وبها الخانات والمخازن والدكاكين وأسواقها مكتظة بالبضايع لأنها مينا الحجاز البحرية وبها أيضا سفارات الدول الاجنبية

وكانت تحية قدومنا الى الارض المقدسة أن انعم علينا المنعم الكريم بفاكهة لم نرها فى مصر بعد وهي أننا اشترينا بطيخا وكان ناضجا ولذيذا والبطيخ لا يظهر عندنا فى مصر الا فى شهر مايو

وقد حضر المطوف حسن افندى كتوعة فسلمته جنيهين اثنين عن أجرة السيارة الى مكة المكرمة وجنيها واحدا أجرة جمل لحمل الامتعة الخاصة بنا وأخذ أيضا اثنين وثمانين قرشا مصريا رسوم وكيل المطوف بجدة وكل هذا عني وعن صاحبتي

المياه فى جدة

والمياه فى جدة على نوعين منها الماء الرائق وهو يصفى (بالكندنسة)

وهي الآلة التى تخرج الاملاح من المياه المستخرجة من البحر وهـذه معدة للشرب والنوع الآخر ماء المطر وهو يحجز فى الصهاريج زمن الامطار وهو عكر وغير نظيف هذا عدا مياه الآبار فى جهات مختلفة

وتصادف أن كنت اتوضأ ورميت بفضلات الوضوء بالشارع وإذا ببانان يقول لى ان الرش هنا ممنوع ويظهر أن الغرض المقصود من هذا هو عدم التبذير فى استعمال المياه

شعرنا بالراحة عند المبيت لاننا خرجنا الى وجه الارض (وكنا لا نزال نشعر بشىء من اثر اهتزاز الباخرة) فنمنا نوما هادئا عميقا وقد حمدنا الله سبحانه وتعالى

على متن السيارة

استيقظنا مبكرين فى صباح الخميس ٢١ القعدة و ٩ ابريل وبعد أن صلينا الغداة (وكنا نصلى قصرا من يوم أن بارحنا ديارنا) وبعد أن فطرنا وشربنا الشاي والقهوة (من عندنا) مكثنا ننتظر السيارة التى تقلنا الى مكة المكرمة الى أن جاءت وقت الظهر فركبت صاحبتى من الداخل من ناحية السواق وركبت أنا بجوارها وأمامها الحاجة القنائية وبجوارها اقاربها وبجوارى بعضهم فصرنا ثمانية وقد أحضروا لنا خمسة من الهنود لتكملة حمولة السيارة اللوري

امنية شاعر

الغواص الماهر اللبيب قد يغوص وراء الصدف الملىء بثمين الجواهر

وكذلك كانت قريحة شاعرنا الفحل أمير الشعراء فانها أخرجت لنادرة من نفائس درره الغالية حيث يقول منذ عشرين عاما ونيف

ويارب هل سيارة أو مطارة

فيدنو بعيد البيد والفلوات

فهذه امنية شاعرنا العظيم قد تحققت وهذه السيارة تقطع المسافة من جدة الى مكة فى ثلاث ساعات بعد أن كنا نقطعها على الجمال فى يومين نبيت ليلة منهما فى بحرة ولا يزال بعض الناس يسيرون هذا المسير

اما الطيران فانه سبق أن سخرت الرياح لسيدنا سليمان بن داود عليهما السلام فكانت تحمل بساطه شهرا فى الغدو ومثله فى الرواح وكانت الطيور تظله لتقيه من وهج الشمس وهجير الحر وهذه من نعمة الملك الذي لا ينبغى لاحد من بعده

وقد اتجهت افكار العرب نحو هذا الطيران حتي قرأنا لهم بعض نظرياتهم فيه ولو دامت مدنيتهم التى كانت آهلة بالروحيات أكثر منها في الماديات لكانوا اتموا التصميم وحازوا قصبات السبق في ابرازه للعالم. وهذه اوروبا جاءت الآن تأخذ بنظريات اسلافهم فاخرجوا الطيران الى حيز الوجود وتقدموا فيه تقدما باهرا فنحن أن اخذناه عنهم لقلنا (هذه بضاعتنا ردت الينا)

هذا ولا يفوتنا أن ننوه بقوة الحكومة السعودية وبطشها لان العربان كانوا يقفون حائلا منيعا دون سير هذه السيارات لأنهم ينتفعون من تأجير جمالهم فى كل موسم

بين الماضى والحاضر

قبل أن نولي ظهورنا ثغر جدة المبارك ونستقبل قبلة الاسلام المشرفة

لا بد أن نلقي نظرة على الماضي والحاضر حتى نقارن بينهما

فى المرة الاولى كنت أشاهد ثغر جدة يموج بمختلف الاجناس من الناس وكان أهلها يفرحون ويخرجون ذرافات ووحدانا لملاقاة المحمل الشريف ويشنفون أسماعهم بنغمات الموسيقى ويمتعون أنظارهم بالاحتفال بوصوله وقيامه الى مكة المكرمة وفى ركبه العساكر يحيونه ويحفون به والآن قد حرمت هذه المظاهر لزعمهم ان المحمل ما هو إلا صنم كالاصنام البائدة وإن الطبل والزمر منكر يغضب الله تعالى

كل المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها يجعلون السفر الى الحج من الافراح التى يهنيء فيها بعضهم بعضا وكانوا يدخلون الى الحجاز وهم في فرح وهيام تكاد أن تطيش معه أحلامهم فيستفزهم هذا الى إظهار السرور وخصوصا عند عودتهم بكل الانواع المباحة

لما شرف سيدنا الانسان الكامل صلوات الله عليه إلى المدينة المنورة وقابله أهلها بالدفوف والانشاد اظهارا لسرورهم فلم يستنكر ذلك منهم

ثم استمع لما ترويه مولاتنا السيدة عائشة الصديقية اذ تقول (دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى جاريتان من الانصار يضربان بدفين فاضطجع رسول الله على الفراش ودخل أبو بكر فقال (بمزمار فى بيت رسول الله) وكان عليه الصلاة والسلام متغشيا بثوبه فكشف عن وجهه الشريف وقال (دعهما يا ابابكر فانها أيام عيد)

وكانت السيدة عائشة الصديقية ايضا تتفرج من شق الباب على قوم من الاحباش يلعبون (بالدبابة) وهي واضعة خدها على كف بعلها العظيم ويقول لها (حسبك حبك) ولكنه لم ينهها عن التفرج

فنستخلص مما توضح أنفا أن اظهار الشعور بالفرح وما اليه (من

طبل وزمر) ليس فيه حرج بل التضييق على الناس حتى ينزووا وينكمشوا هو بعينه المنكر والمحظور سيما وإن عظماء الصدر الاول وهم لاتزال ماثلة أمام أنظارهم انوار النبوة وتعاليمها المجيدة لم تأنف نفوسهم الزكية من اقامة الافراح واظهار المسرات

كانت الامم قديما تعالج المرضي فى مستشفياتها بالموسيقى وقد أخذت السلالة الحديثة عنهم هذه النظرية . وكذلك كانت الامم تولد الحماس في نفوس جندها بنغمات الموسيقى ولا تزال الامم المتحضرة تحذو هذه الفعال فلست أدري لماذا يحرم من هذه المزايا أمم الاسلام ودينها سهل لين حيث يقول ذو الخلق العظيم لمعاذ بن جبل وزميله وهو يوصيهما عند سفرهما الى اليمن بقوله الحكيم (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا)

انظر الى تربية النشىء عند معاصرينا المتمدينين وهم يقوون عضلاتهم بالرياضة البدنية تحت نغمات الموسيقى حتى يشبوا نشطين فرحين وحتى لا يسأموا الحياة المضنية المملة

وما لنا نذهب بعيدا وهذا التاريخ ينبئنا عن مجلس الذكر الحكيم عند سيد الحكماء حين كان يقف عند حد من الكلام فى شؤون العلم الشريف ويقول (حضونا) فيتكلم الاصحاب الاخيار فى قصص الامم الغابرة ويتناشدون اشعار العرب

نعم ان بعض المسلمين قد تورعوا عن الملاهي ولكن هؤلاء قوم تجردوا من حظ هذه الحياة وتبتلوا الى الله سبحانه وتعالى وانقطعوا اليه فاستخلصهم لعبادته وخصهم برحماته الصمدانية فهم أولياؤه وأصفياؤه وليسوا هم كل المسلمين بل الاسلام يأمرنا بأن نعمل لدنيانا كاننا نعيش ابدا يعني ان نقيم الصروح والمعاقل ونشيد القصور والمنازل ونغشىء

الاساطيل والجحافل وتضرب بسهم وافر فى كل نوع من أنواع الحياة ولا نهمل فيها حتى لايدوسنا العدو باقدامه وأمامنا الحلال بين والحرام بين

ثم وهذا المحمل بحفله وموكبه كله دعاية بريئة الى الحج الشريف والحج هو زرع الحجاز وحصاده والحج أيضا هو دعوة سيدنا ابراهيم الخليل (ربنا اني اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون)

انه يتحتم على الحجاج الذين يقومون بالسيارة أن يقللوا من الامتعة التى يأخذونها معهم فكان معظمهم ليس معه إلا ربطة الفرش وخرج صغير وتعلق هذه الامتعة فى قوايم دروة السيارة (سقفها)

قيام السيارة

قامت السيارة اللوري على بركة الله تعالى ونحن بثياب الاحرام وكنت بفضل المولى عز وجل الشخص البارز فيها للسر الذى يودعه الخلاق العظيم فى النفوس اللاجئة اليه وهو سبحانه وتعالى الذى يوزع على كل نفس قسطها من هذا السر . وكنت أنشد لمن معى بكلمات التلبية وهم يرددونها وذلك فى أوقات متعددة أثناء السير وكنا نلبي اذا علونا مرتفعا أو هبطنا واديا أو لقينا ركبا كذلك ويلبي الانسان عقب كل فريضة وفى سائر بقاع الحرم رافعا بها صوته الا فى مسجد الجماعة خوف التشويش والمرأة (لاترفع صوتها)

انطلقت بنا السيارة انطلاق القذيفة من فم البندقية وكنت أنظر الى

هذه الرواسي الشامخات على الجانبين وأتذكر يوم أن كنت أرى بين كل مسافة وأخرى حشدا من الجنود الترك يجتمع فى حصن لهم فوق قمم الجبال لحفظ الطريق من عبث العربان وعيثهم وكانت هذه مسائل صورية فقط لأن هؤلاء الاتراك لا يريدون أن يشتبكوا مع العرب فى خصومة تقض مضاجعهم بما يضعونه من أشواك الغدر والوقيعة بهم ولهذا عند ما كانوا يسمعون أصوات استغاثة يجعلون كأن فى آذانهم وقرا فلا يسمعون وعلى أعينهم غشاوة فلا يبصرون

والآن ترى هذا الطريق وهو خلو من أي جندي أو شرطي والحجاج والسابلة يسيرون بكل اطمئنان وهذا الامن الذى يمتد رواقه على ربوع الحجاز يعد من مفاخر الحكم السعودي

كانت اللوري تتعطل فى الرمل لان الارض فى معظم الطريق رملية فكنا ننزل ونزحزحها من مكانها حتى تسير وما أحلاها من مناظر سارة وما أطيبه من عطل محبوب

وبالطريق نقط تسمى رأس القائم والرغامة وجرادة . ولقد مكثنا فى بحرة قليلا للاستراحة وشرب الشاي والقهوة وكنت أشترى (الكشرى) الارز بالعدس مطبوخا للتبرك و اشترى ايضا من الشربات الحلوة التى كان يعرضها البدو للبيع

وفى بحرة الرغاء هذه مسجد صغير يقال ان السيد الكامل بني أصوله منصرفه من غزوة الطائف سنة ثمان من الهجرة

وبعد بحرة نقطة حدة وبعدها الشميسى وبها مسجد صغير محـــل بيعة الرضوان

بيعـــة الرضوان

الـكاتب القدير هو الذى يجعل القلم في يده كريشة للمصور تصور الحقائق تلمسها الايدى وترمقها الاعين واضحة جلية . ومن لى بقلم جرىء يصف ما لهذه البيعة من اثر صالح وفضل عظيم وكان أحرى بنا إزاء هذا الفضل ان نكتب على مكانها بأحرف من نور (هذا محل الشجرة المباركة شجرة بيعة الرضوان التى بايع تحتها من جادوا بالنفس فى سبيل الرحمن)

(إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) — قرآن كريم —

وسبب هذه البيعة أن صاحب دعوة التوحيد ارتأى أن يزور البيت العتيق معتمرا في السنة السادسة من الهجرة وكان مع قريش على حرب فلما علمت بمقدمه الشريف من المدينة المنورة أخذتها العزة بالاثم واجمعوا أمرهم على أن لا يدخلها عنوة أبدا حتى لا يكونوا مضغة فى أفواه العرب وحمية الجاهلية زينت فى رؤوسهم هذا العناد حتى وقف أمامه خالد بن الوليد على رأس جيش بعسفان ليصده عن البلد الحرام بغيا من عند أنفسهم وهو ابن بجدتها وفى الذروة العليا من مقام سادتها

ولما رأى الحـكيم الرشيد أن لا مناص من الحرب قال (اشيروا علي أيها الناس اتريدون أن نؤم البيت ومن صدنا عنه قاتلناه ؟) وهنا بدت ظاهرة مـن ظواهر افضليـة هذه الامة على باقى الامم حيث يرد عليه سيدنا المقداد بن الاسود بقوله (لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى (إذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) ولكن اذهب انت وربك

فقاتلا انا معكم مقاتلون والله يارسول الله لو سرت بنا الى برك الغماد لسرنا معك ما بقي منا رجل) فتهلل وجهه الشريف بالبشر والسرور

واعقب هذا الفضل فضل آخر نكتبه بمداد الشكر لهذه النعم التى تفضل بها المنعم الكريم على هذه الامة الملحوظة بعنايته الصمدانية . وذلك أن سيد الاصفياء لما رأى وقوف جيش المشركين في طريقه قال (هل من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم) فسلك بهم أحد الصحابة طريقا وعرا ولما تجاوزوه الى أرض سهلة قال (قولوا نستغفر الله العظيم ونتوب اليه) فقالوها ثم قال (والله انها للحطة التى عرضت على بنى اسرائيل فلم يفعلوها) بل صاروا يتدللون ويتلكأون بطرا بالنعم التى يتقلبون فيها وقد قال الله تعالى عن هذه الحطة (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين)

ولو استمعت الي حتى أبين لك حسن الانقياد وجميل الاخلاص وانكار الذات أمام الزعامة العظمى من قول عروة بن مسعود الثقفي عظيم القريتين الذي عنته قريش بقولها (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) حيث يقول عندما عاد بعد اداء المفاوضات مع قيادة جيش الموحدين الميمون . لقد رأيت ما يصنع أصحاب محمد به إنه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه ولا يسقط من شعره شيء الا اخذوه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ولا يحدون النظر اليه تعظيما له ثم قال يامعشر قريش انى جئت كسرى فى أيوانه وقيصر في ملكه والنجاشي فى عزه فما وجدت ملكا فى شعبه مثل محمد فى أصحابه

وهذه الآداب العالية قد اقتبسها هؤلاء الفضلاء من أداب الذي أدبه

ربه فأحسن تأديبه

وقد يتجلى أمامنا الاخلاص أيضا بكامل معانيه عندما توجه سيدنا عثمان بن عفان الى مفاوضة قريش وقد عرضوا عليه أن يطوف هو بالبيت والطواف كما لا يخفى ضربة لازب على كل داخل الى البلد الحرام ولكنه أبى ما دام رئيسه ممنوعا . ولما كانت القلوب تتناجى فتتعرف مكنونات أسرار بعضها فقد قال صفوة الرحمن إن عثمان لا يطوف ما دمنا ممنوعين

ثم انظر ايضا الى عطف الرئيس وحنانه حيث يقوم هؤلاء الالاف وار بعماية ذات من ذوات المؤمنين ويبايعون قائدهم العظيم ثم يضع هو يده اليمنى على اليسرى ليبايع عن عثمان وهو يقول (اللهم ان عثمان فى حاجتك وحاجة رسولك)

هلم بنا نجوس خلال هذا المعسكر الاسلامي المنير الذى خضعت له رقاب الورى لننظر فى أمر هؤلاء الرابضين فى رحالهم حيث تراهم ليوث الشرى يزأرون ويتحفزون للوثوب عند أي اشارة تصدر من القيادة العظمي فهم كما يصفهم القرآن الكريم (اشداء على الكفار) ثم أعد الكرة وأمعن النظر تراهم كما يقول القرآن أيضا (رحماء بينهم) لا فرق بين كبير وصغير وأمير وحقير وهم يعيشون عيش الزهد و يعرضون عن هذه الحياة الدنيا لانهماكهم فى تأييد كلمة التوحيد التى يجودون لاجلها بالمهج والارواح

فى عصرنا هذا يتباهي الافرنج بأنهم عريقون فى الديموقراطية ويفتخر البعض منهم بأن المساواة أدت بهم الى تبوأ العمال عندهم كراسى الحكم ولكن منذ ثلاثة عشر قرنا ونيف كنت ترى المساواة الصحيحة والاخاء الحقيقي . ترى علي بن أبي طالب وابا بكر الصديق وعمر بن الخطاب مع حظوتهم بالقرب من مقام زعامة الاسلام فانهم يتساوون مع بلال وعمار

وعامر بن فهيرة فى الحقوق أمام القانون السماوي وفضلا عن هذا فقد عين سيد الحكماء شابا ليس من خواص الاشراف وهو اسامة بن زيد ابن حارثة على رئاسة جيش فيه عظماء الصحابة مثل ابى بكر وعمر . فهو بهذا يعلمنا بأن مناصب الدولة يجب أن لا تكون وقفا على طبقة الارستقراطية بل يعين فى الحكم من يكون جديرا بالقيام باعبائه كائنا من كان

صلح الحديبية

وأخيرا تم صلح الحديبية وكتبت عنه شروط المعاهدة وهي تنحصر فى خمس مسائل

(١) الهدنة لمدة سنتين

(٢) من يأتي من قريش إلى المسلمين بغير إذن وليه يرد الى مكة

(٣) من يأتي من المسلمين إلى قريش لا يرد إلي المدينة

(٤) كلا الطرفين له تمام الحرية أن يتحالف مع من يريد

(٥) لا يدخل المسلمون مكة فى هذا العام بل يدخلون فى العام المقبل

وقد أغضبت هذه المعاهدة فريقا كبيرا من المؤمنين وكأني بهم وقد غفلوا عن بعد نظر الزعامة العظمى وحكمتها العالية والتوفيق الالهي الذى يلازم خطواتها المسددة حيث أن البند الثاني من المعاهدة اصبح شجى فى حلق قريش لانه لما اسلم ابو بصير واراد ان لايشق على خـــير الاوفياء ويذهب اليه وهو على عهد مع قريش بل ترأى له انه يمكث بطريق القوافل الى الشام وانضم اليه ابو جندل بن سهيل بن عمر و مع نخبة من القوم حتى اجتمع منهم زهاء الثلثماية انسان فقطعوا طريق قريش وهم لابد لهم من الذهاب الى الشام للتجارة فناشدوا الآمر بصلة الرحم صلة الرحم فانجدهم وأمر فعاد اليه ابو جندل اما ابو بصير فقد قضى نحبه راضيا مرضيا

وانصرف الذين كانوا حولهم من الاعراب وعلى هذا فقد لغى البند الثانى من تلقاء نفسه حتى كانت (الحديبية تعد من اعز فتوحات الاسلام) وكان مقام من حضرها من السادة الاجلاء كمقام اهل بدر الكرام

فهذا ملخص وجيز عن مسجد البيعة الذى نمر عليه ولا نعبأ بمركزه العالى الذى فاضت منه فيوضات المولى الكريم سبحانه وتعالى على هذه الامة

وفى اثناء سيرنا كان الهواء يهب من جهة الجنوب حارا ساخنا ويأتي بغبار أصفر يسد الانوف والعيون ولكن ما احلا النسيم الذى يهب في ارض الحبيب حتى ولو كان من لهيب

فى البلد الحرام

ظهرت اعلام مكة فكان القلب يرقص طربا من لذة القرب وسالت العبرات على الوجنات وما اهدأ وما اهنأ دموع الفرح بهذا اللقاء ولدى وصولنا اوقفت اللوري عند مخفر الشرطة واخذ اسمى مع أسم المطوف وتعداد الراكبين فى السيارة لاجل تحصيل (الكوشان) وهي الضريبة المقررة من الحكومة

كلمة عن العمال والجنود

قبل أن أحط رحالى ببلد الله الحرام لا بد ان القي كلمة هادئة عن كل المناظر التى انطبعت فى ذاكرتى بطابع الاعظام والاجلال من يوم أن تشرفت بالنزول إلى الارض المقدسة من شاطيء جدة الى البلد الامين .

كل هذه المناظر قد حلت من نفسي مكانا عليا من الاكبار والاعجاب حيث رأيت عمال المينا صغيرهم وكبيرهم وعمال الكمارك رئيسهم ومرؤوسهم والعساكر وضباطهم وكبار الشرطة وأتباعهم حتى وسواق السيارات ونقبائهم كلهم في جد ونشاط يؤدون واجباتهم بغير اعياء أو ملل . والاحسن من هذا والاكثر غبطة هو احتفاظهم بزيهم العربي الجميل (بالكوفية والعقال والقفطان والعباءة) الامر الذى جعلنى أدعو الله تعالى أن يسدد خطوات هذه الحكومة (الشرقية) ولا سيما اننى أحفظ لها فى أعماق نفسى كثيرا من الحب والاحترام لانها قضت على الفوضى وقطعت دابر المفسدين

ولقد مررت على الفشلاق الحميدي الذى كان مكتظا بفيالق الجيش العثماني فوجدته الآن خاويا على عروشه وسبحان من تفرد بالدوام والبقاء

دخلنا الى (جرول) وهي غربي مكة وباب الدخول اليها وعندها بئر ذى طوى التى اغتسل منها سيد الاصفياء لدى دخوله إلى مكة فى حجه المبارك

الشيخ محمود

وهذه الجهة مشهورة أيضا باسم (الشيخ محمود) نسبة الى الفيل الذى برك فى هذا المكان . وسببه ان ابرهة (وابرهة باللغة الحبشية معناها أبيض الوجه) وهو أحد كبار ملوك الحبشة قد شيد كنيسة له فاخرة وزخرفها وزينها بانواع الجواهر وأراد أن يحول الناس عن البيت الحرام ليحجوا اليها ولهذا صمم على هدم الكعبة المشرفة ثم سار بجنوده التى ملأت الفضاء وسدت منافذ الهواء ويصحبهم دواب النقل مع الخيول والافيال

ولدى وصوله الى أرض الحجاز نزل بقرب ذى المجاز (بين عرفة ومنى) ثم أرسل رسوله الى كبير قريش وزعيمها وشيخ البيت الحرام عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف يدعوه الى مقابلته فى معسكره وفى اثناء ذلك جاء رعاة ابل الشيخ عبد المطلب واخبروه بأن جنود ابرهة اغاروا على الابل واستاقوها الى ناحيتهم فلما وصل الى السرادق الفخم المعد لاقامة الملك وتقدم للدخول هابه الملك وأكرم نزله ونزل عن سريره وجلس معه على البساط حتى لا يعلوه ثم كلمه والترجمان يتوسط بينهما فى التفاهم فيسأله ما حاجتك فيقول حاجتي ان ترد الي ابلى فقال له الملك إننى اكبرتك اذ رأيتك ولكنك لما سألتنى الابل وتركت البيت الذى هو عزك وعز قومك سقطت من عينى فاجابه اننى رب الابل (اما البيت فله رب يحميه) عند ذلك رد اليه ابله وودعه باحسن مما لاقاه

ثم سار ابرهة بجنوده وكبير الافيال الذى هو (الفيل الابيض) يتقدم الجميع ولما اقترب من البيت المطهر أقبل عليه نفيل بن حبيب الخثعمي من أشراف قريش وعرك أذنه وقال له (أبرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك فى بلد الله الحرام) ثم أرسل اذنه فبرك مكانه وهذا هو سبب تسمية الفيل (باسم الشيخ محمود) حتى سمي المكان بهذا الاسم

وصار القوم يضربون الفيل وينخسونه بالكلاليب فيقوم ولكنه يتجه لغير جهة الحرم ثم أرسل الله تعالى عليهم الطير الابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول

ويقول العلم الحديث أن البلاء الذى نزل بهم هو (ميكروبات الطاعون) والقرآن الكريم يعبر عنها بالطير الابابيل ليقربها الى افهامنا وقد ورد

فى (حياة الحيوان) أن الطير الابابيـــل تعشش وتفرخ بين السماء والارض وهذا القول ينطبق تمام الانطباق على تعريف جراثيم الاوباء التى تسكن فى الجو وهي تفقس ملايين الملايين من فراخها فتتسلط على الابدان التى يؤذن لها بالتسلط عليها (صنع الله الذى اتقن كل شيء)

وكانت قريش تتحصن فى رؤوس الجبال حيث لا طاقة لهم بأبرهة وجنوده ولما اهلك الله هؤلاء الطغاة اعتزت قريش بقوة الله تعالى وهابها العرب وقد اعتبروا أن أهل مكة جميعا هم أهل الله تعالى

وكانت أم المؤمنين السيدة الجليلة عائشة الصديقية تحكى بأنها رأت فى صغرها فى مكة المكرمة سائس الفيل وقائده أعميين مقعدين يتكففان الناس

وصار العرب يؤرخون من عام الفيل هذا الى أن جاء الاسلام فجعل تاريخه من ابتداء الهجرة الشريفة النبوية التى هي أعظم حادث حدث فى التاريخ

نجاة اهل الفترة

من سياق هذه القصة تتبين لنا عقيدة شيخ الحرم الوقور فى مقام الالوهية العظيم حيث أنه يقول (ان للبيت ربا يحميه) فهو يعتقد في وجود الله سبحانه وتعالى وفى قدرته عز شأنه على حماية البيت وهو على كل شيء قدير. وكان يقول مع خواص العرب عن عبادة الاصنام (وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى)

ولهذا يقول فريق من علماء المسلمين بان أهل الفترة ناجون من العذاب وأيضا لقوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وهم لم تصلهم الدعوة الى التوحيد بعد

كما وانه يتضح للقاريء ايضا كيف كان مقام الشيخ الموقر عبد المطلب بن هاشم من الشرف والسؤدد وهو قد ورث الامارة كابرا عن كابر ولا غرو فانه سليل الاصلاب الشريفة والارحام الطاهرة لان حفيده سيد الانبياء والانبياء لايرسلون الا فى احساب قومهم

الحاج طاهر

وقد سبق أن ارسل حسن افندي كتوعة رسالة برقية الى الحاج طاهر التونسى وكيله بمكة المكرمة ولدى وصولنا الى (جرول) وجدناه فى انتظارنا فقابلنا بترحاب وقبول وهو فصيح اللسان يعطيك الشهد من معسول قوله حيث يقول لنا انى طوع بنانكم وخادم اقدامكم. يالله . كيف ذلك ياحاج طاهر ؟ وكيف تكون خادم اقدامنا ونحن ما هجرنا أوطاننا ولا تركنا عيالنا وأموالنا الا لنهاجر الى الله ورسوله وهذه الهجرة لصالحكم حيث اننا أخذنا معنا من الجنيهات الذهب الانجليزى مايفوق المائة عدا ومن الورق النقدي ما تعد عشراته على الاصابع هذا عدا ثمن الحوائج التى استصحبناها معنا وعدا سبعة وعشرين جنيها مصريا مصاريف سفرتنا فى البر والبحر إلى جدة ذهابا وعودة . وكل هذه المبالغ ننفقها فى سبيلكم فمن هو الخادم إذن ؟

كما وأن التاريخ يذكر أنه عندما استعمل سيد الفاتحين عتاب بن اسيد واليا من قبله على مكة المكرمة قال له (ياعتاب أتدرى على من استعملتك ؟ استعملتك على أهل الله) ونحن خدام أهل مكة الذين هم أهل الله تعالى

فى طريق البيت

هناك فى هذه الجهة (جرول) أباريق معدة للوضوء (بالاجرة طبعا)

فتوضأنا وصلينا العصر قبل فواته بمسجد انشىء حديثا هناك ثم استأجر الحاج طاهر عربة صندوق حملت الامتعة وركبت فيها صاحبتي ومعها الحاجة القنائية أما نحن فسرنا على الاقدام ملبين مكبرين مهللين وكنا نتخيل أننا لا نسير على الارض بل كان شعورنا بالفرح يرفعنا حتى نكاد نطير لانها الارض المقدسة التى تشرفت بسيد الكائنات وهذا الغبار الذى يتصاعد منها لهوا طيب رائحة من المسك فى شمي وأحلى من الشهد فى ذوقى لانه التراب الطاهر الذى أينع فيه زهر النبوة العالية الغالية وخطر عليه أفضل مخلوق وأكرم بشير ونذير

قطعنا شارع الباب وجزءا من شارع الشبيكة وبعد أن جاوزنا الدار التى تقطن بها البعثة الطبية المصرية بقليل حطينا رحالنا بدار وكيل المطوف وقد نصح لنا بأن نستريح ونتعشى ثم نقوم بالواجب المفروض للعمرة من طواف وسعي

البعثة الطبية المصرية

ما أحسن ما أرى بلادي العزيزة وهي تقوم بقسط وافر من البر بهذا البلد الامين وكم كنت قرير العين عندما رأيت لوحة على باب دار رحبة فسيحة مكتوب عليها بالقلم العريض (البعثة الطبية المصرية)

هذه البعثة التى أخذت دورا هاما بين حكومتنا المصرية والحكومة الحجازية وكانت هذه الحكومة تنظر الى بعثتنا نظرها إلى شيء يخدش ناموسها أو يؤثر على سمعة استقلالها والحال أننا في مصر نتساهل مع المستوصفات والمستشفيات التى تشيد دورها بارضنا لعلمنا بانها تؤدي خدمات انسانية بحتة . نعم أنه يوجد بعثات تستتر وراء هذا الاسم ولكنها

تنطوى على أغراض سياسية أو تبشيرية ومن واجب الحكومات الرشيدة أن تفطن لاعمالهم ولا تتركهم ينشبون أظفارهم فى مرافق ومعالم بلادها

ولا يفوتني هنا التنويه بأن هذه البعثة الطبية المصرية قد قامت خير قيام بواجبها الانساني وكانت تعتنى بالمرضى الذين يؤمون دارها من كل الجنسيات وكانت تشرح الداء وتصف الدواء بكل همة واعتناء حتى استحقت من الجميع كل ثناء واطراء وحتى التاريخ نفسه يسجل لها بين طياته صحيفة نضرة بيضاء

فى دار المطوف

أن دور مكة ذات طبقات متعددة وهي على طرازها الشرقي الجميل ابنيتها متوسطة ولا تحتوي على شيء من الادوات الصحية بدورة المياه فالمراحيض عادية والمياه تجلب اليها بواسطة السقايين

والدار التى نزلنا بها ذات طبقتين فالطبقة السفلى منها يسكنها حجاج آخرون مع مطوفين اخر أما نحن فقد صعدنا الى الدور العلوي ودخلنا الى غرفة مفروشة بالطنافس الفارسية . وكنت أود أن اقول

الطنافس المصرية

لان صناعة السجاجيد فى مصر أخذت فى دور التقدم وهى تتطلع إلى المصريين رجاء أن يحوطوها بشيء من عنايتهم حيث أن كل مشروع يحتاج فى حداثة عهده الى وسائل تحميه وإلا تلاشي قبل أن يدرج من مهده وأبلغ وسائل الحماية أثرا هو عناية الجمهور وأقباله حتى تتقدم الصناعات وتصبح البلاد فى حالة طيبة من اليسر المالى

وما دام الحديث قد جرنا الى ذكر المال فما يكون للقلم أن يترك المجال حتى يفي المقام حقه من المقال لانه المال . والمال كما لا يخفى هو قوام الحياة بل هو كل شيء في هذا العالم ولقد عثرت على حكمة تهدينا الى طريقة تدبيره وترشدنا الى الابتعاد عن تبذيره وهذه هي

حكمة شاعر العصر

يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وهذا بلبل مصر الصداح وصوتها الرخيم العذب يسمعنا من آيات بيانه ما يزري بقول من قال (ما ترك الاوائل قولا لقائل) فشاعرنا العبقري أمير الشعراء قد ترك له الاولون فراغا ملأه دررا ولآلىء وحكما غوالى اذ يقول

وانما الامم الاخلاق ما بقيت

فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

انني أعجب بهذه القريحة الوقادة التي مثلت لنا الحياة الخالدة في بيت من الجمان المنظوم يجدر بنا أن نجعله نبراسا نستضيء به عندما تدلهم خطوب الاهواء

لعمرك أن الاخلاق هي الدعامة القوية التي ترتكز عليها حياة الامم حياة طيبة

فالاخلاق هي التي تمنع هؤلاء الذين يسكبون جامات الراح في احشائهم نظير أن يسكبوا للاغريق ما في جيوبهم

والاخلاق هي التي تمنع أسراء الشهوات أن يتسكعوا في الطرقات حتى يقعوا في حبائل أمثالهم المتسكعات ويحشون جيوبهن من المال الذي

تحتاج له الاسرة ويصلح به شأن العيال

والاخلاق هي التي تهيب بقعداء المقاهي أن ينفضوا عن كواهلهم غبار الكسل ويطرقوا بكل قبول أبواب العمل والعمل هو البركة وهو الكنز الذي لا ينضب معينه والعز الذى لا يبقى معه ذل أو شقاء

والاخلاق هي التي تجعل البليد نشطا والجبان مقداما وهي أيضا تمنع الاشحاء أن يطمروا مال الامة فى باطن الارض ولا يخرجونه لنفع الامه أو على الاقل يخرجون ربع عشره فى كل عام حتى يبل ريق المعوزين

وبالجملة ان الاخلاق هي التى توفر لنا المال ناميا زكيا نتمكن به ان نرقى بالاحوال الاقتصادية رقيا يجعلنا فى مصاف الامم التى كنا نسبقها باشواط بعيدة فى مضمار الحضارة والعمران

ومتى تقدمنا فى الاقتصاد وتجمع لدينا المال الكافي نقوى أنفسنا بكل ما فى وسعنا لان التسليح القوي هو مفتاح باب الامن وقاعدة سلم السلام (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) عند ذلك يهاب العدو والصديق جانبنا وننال أمانينا القومية والسياسية بغير نصب أو صخب

والخلاصة أن الاخلاق هى باب السعد الموصل الى حسن الاقتصاد والاقتصاد هو الطريق الموصل الى الاماني القومية وهذه المسائل الثلاث يجب ان تتمسك بها كل امة رشيدة ولا تهمل فى احداها لتظفر بالعز ونيل المني

فى دار المطوف

ولنرجع الى دار المطوف

فانه موضوع فى الغرفة على الطنافس بعض المساند وهي تتكيء على (مصطبة المشربية) التى لاتخلو منها دار فى مكة المكرمة وخارج هذه الغرفة غرفة

اخرى مفروشة بالخسف الخوص فقط وقد أفهمنا الحاج طاهر بان هاتين الغرفتين معدتان لنزولى وصاحبتى وادخل الستة الباقين فى غرفة صغيرة بجوارنا

وليمة المطوف

وتقدمت لنا وليمة المطوف وهي مائدة تحوى صحافها القيشاني الكثير من الطعام الشهي مثل الحساء بالدجاج والكباب والكفتة واللفة ولمة والخضارات المطبوخة باللحم وبعض التوابل مثل السلاطة وما اليها الامر الذي اكد عندى الخبر القائل باعتناء المكيين فى مأكلهم وتفننهم فى تعدد الاطعمة

كذلك وتقدمت مائدة اخرى الى الستة الباقين تشبه مائدتنا تماما فاكلنا وحمدنا الله تعالى

الملابس فى مكة

كذلك وللمكيين ولع خاص بالتأنق في الملبس حيث ترى الرجال يوشون الملابس بالتطريز حتى تجد السروال مشغولا (بالروكامو) على حافة رجله و يلبسون الكوفيات المطرزة ايضا ولا يأنفون ان تكون الجبة أو الجاكتة من الوان زاهية جدا وهم يتعممون بكوفيات ملونة ومطرزة فوق طاقية بيضاء من البفتة

وأهل الطبقة العليا يتعممون فوق طاقية مكوية مجدولة وهي معروفة لدينا (بالعمامة المكية)

اما الملابس الرسمية تقريبا فى البلد فهي الملابس النجدية (بالكوفية والعقال والعباءة والقفطان)

أما النساء فان ملابسهن متقنة ومكوية وهن يلبسن الثياب البيضاء في العزاء والمآتم

الى البيت المطهر

بعد ما فرغنا من الاكل جددت الوضوء وقمنا جميعا نقصد البيت المطهر وأمامنا الحاج طاهر يلبي فنرد عليه ويدعو فنكرر دعاءه الى أن أكرم الله وفادتنا وقربنا إلى أعتابه القدسية ودخلنا من باب العمرة (أحد أبواب المسجد الحرام) فتلونا قوله تعالى

(رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا)

ولدى تشرفنا بالحرم الشريف صلينا العشاء مؤتمين بالشيخ محمد سليمان

امام العتبة المقدسة

هذا بيت ربنا ماثل أمامنا . سبحان ربنا الكبير المتعال. لماذا لا يكون بيت ربنا من زخرف ولبناته من لجين ومن نضار وترصع حوائطه بنفائس الاحجار وترابه الند والعنبر وحصباؤه اللؤلؤ والمرجان

سبحانك ربنا وتعاليت ياذا الجلال والاكرام . لماذا تضع بيتك الكريم في هذه الارض الجرداء بين هذه الجبال القاحلة ؟ ولم لم تضعه بين جنات وعيون ومقام كريم مثل هضاب سويسرا الخصبة أو ربوع لبنان الجميلة أو في بقعة من أخصب أرضك وتفجر الانهار خلالها تفجيرا حتى تنبت الزرع والنخيل والاعناب ؟

وكأني بلسان العزة الصمدانية يجلي لنا الحقيقة اذ يقول إنني أبعدته

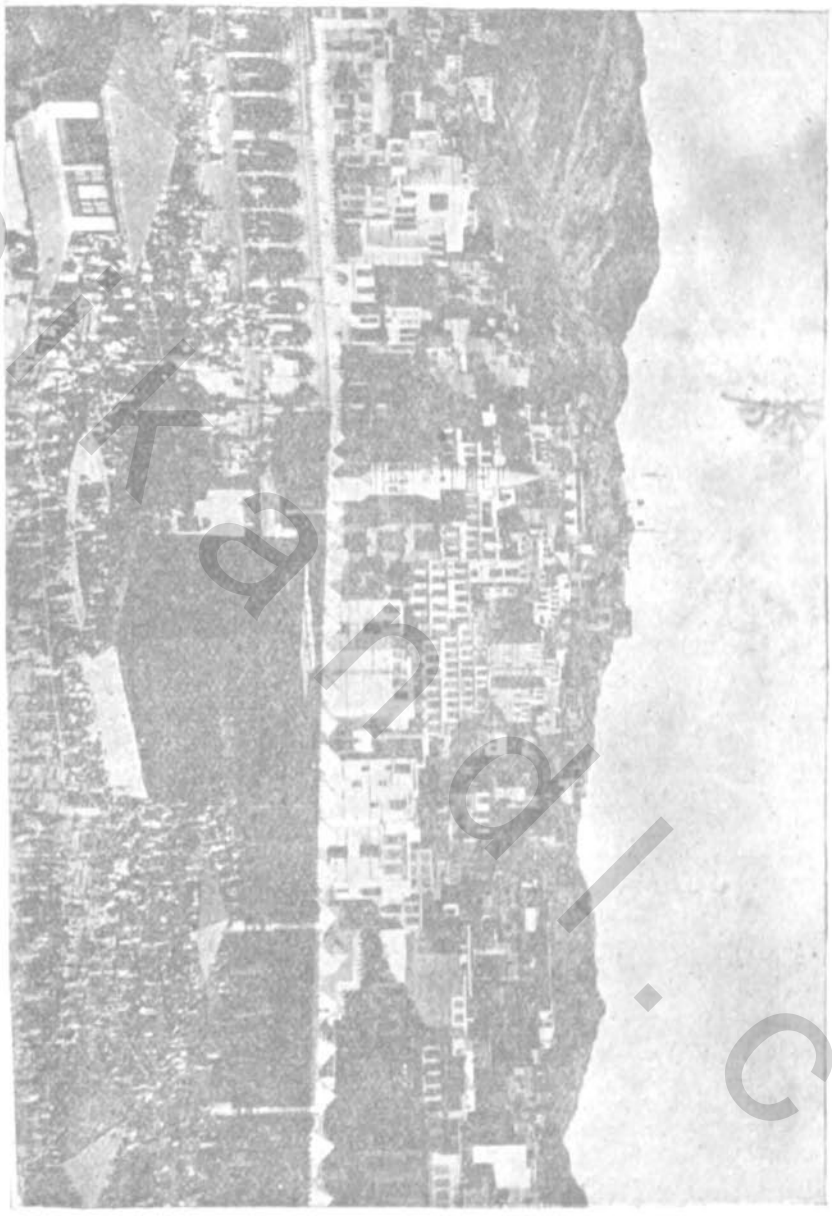

الكعبة المشرفة بالحرم الشريف

obeikandl.com

عن العمران والمدنية لاخرج منه انسانا كاملا هو صفوتى من خلق اختصه برســـــالاتى و بكلامى والبرهان الحسي على أنه ما ينطق عن الهـوى ولا يتكلم من عندياته أنه نشأ فى هذه البقعة القفرة بين هذه الامة الامية (إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى)

كذلك وجعلته بعيدا عن العمران حتى لا يشغل القاصد إلى بيتى شيء من اللهو ومن الرياضة بل انه يأتى الي متجردا من ذاتيته ليشاهد بروحانيته ملكوت السموات والارض

المران والعلم

أين ذهب هذا العلم الذى تعلمته فى مناسك الحج وأين ذهب المجهود الذى بذلته فى المطالعة حتى احتاج الى دليل يرشدني عن الطواف

وهنا تذكرت حكاية أحد السادة العلماء عندما أم المسجد الحرام وصلى ركعتين تحية المسجد فقال له غلام من أهل مكة (إن تحية المسجد هنا الطواف)

كذلك وتذكرت محاورة شاب مكي مع أحد السادة العلماء أيضا وهو يرى من نفسه الارتياح لغزارة مادته فى العلم ويود الشاب أن يتغلب على الاستاذ فى الجدل فقرأ أمامه (إن الله وملائكته يصلون على النبي) فتعجل الشيخ وقال اللهم صل وسلم عليه فقال له الشـاب انك لست الله ولا من الملائكة فلماذا لا تصبر حتى اتم الآية (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) .؟

سبحان الرزاق الكريم . إذا كنا لا نحتاج إلى دليل فمن أين تأكل هذه الجيوش الجرارة وهي تتعيش من هـذه المهنة مهنة المرشـد لاداء

اركان الحج

وهؤلاء المطوفون فى مكة مع الحجاج أشبه بالتراجمة فى مصر مع السائحين ولكن اولئك أكثر نفرا وأعز جندا

امام الحجر الاسود

صفنا الحاج طاهر امام الحجر الاسود وهنا تذكرت قول بعضهم انه يمين الله فى الارض وكأننا نعاهد الله تعالى بايماننا وتذكرت ايضا قول سيدنا عمر وهو يشير اليه (انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك) فهو ينبه الناس وهم حديثو عهد بالوثنية ان عبادة الاحجار قد فات زمانها اما هذا الحجر الاسود فأنه رمز من الرموز المعنوية وانه ايضا يأتي يوم القيامة فيشهد لمن استلمه وانه وضع ليكون علامة لابتداء الطواف

قتل الخراصون

الذين يقولون ان الحج فيه شيء من الوثنية وقد أقره الاسلام تأنيسا للعرب وموافقة لفهمهم حتى يتألفوا الاسلام

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز (لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك فى الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم) وقد جاء الاسلام مؤيدا لملة ابراهيم الخليل فلما امر عليه السلام ببناء البيت المطهر كان ذلك قبل العرب وكلف الله سبحانه وتعالى الناس بالحج اليه فتملكته جرهم ثم خزاعة الى أن وصل الى قريش ولما جاء الاسلام صار يطهر البيت المشرف من الادران التى الصقها به ابليس البشري (عمرو بن لحي) وهي الاوثان وما

اليها من انصاب وازلام والذى بقي بعدهذا كلها امور معنوية تشير الى معاني غاية فى الحكمة والهداية وسأتكلم عن الحكمة فى المناسك عند الكلام على كل منهامما يدحض مفتريات هؤلاء المتعنتين

مزايا الحج

كما وان الحج فيه مزايا لا يستهان بها وفوائد جمة لعامة المسلمين

منها أن الحج كمؤتمر عام يجتمع فيه شعوب الاسلام للتفاهم فيما ينفع الاسلام كمؤتمر لاهاي الذى يحكم اليه الافرنج فيما يحدث من الخلاف بينهم أو كعصبة الامم التى تنضم اليها شعوب أوروبا وبعض شعوب آسيا

وهو يذكر الانسان أيضا بأن مصيره الى القبر لان لباس الاحرام كهيئة الاكفان والقبر أما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار فلينظر الانسان الى اي قبر يكون مصيره

وهو أيضا يذكر الناس بالبعث والنشور يوم يقوم الناس لرب العالمين - يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله

كسوة البيت

ابتهجت النفس وقرت العين بمرآى الكعبة الوسيم فقلنا (اللهم أنت السلام ومنك السلام حينا ربنا بالسلام اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما ومهابة وزد من حجه أو اعتمره تكريما وتشريفا وبرا

نظرت إلى الكعبة المشرفة فاذا عليها ستر كالذى كانت تهديه لها مصر فارتسمت أمامى تلك الصفحات من التاريخ التى تسلب فيها عود الوهابيين حتى وقفت أمامهم مصر وقفة الحانق الذى يغضب لمقابلة حسن

الصنيع بضده لان مصر التي هي أحسن بلاد الله تودداً ووفاء لاهل المدينتين المقدستين والحرمين الشريفين كانت تتفق بسخاء على هذه الكسوة الشريفة والكساوي الاخرى لمقام سيدنا ابراهيم وغيره. هذا عدا الهبات والتبرعات لعائلات كثيرة من الحجازيين حسب نص وقفيات الحرمين الشريفين التي أرصدها الخيرون من المصريين

ولما وجدت نفسها أمام هذه الصلابة التي لا مبرر لها اضطرت لان تقبض يدها حتى تهب رياح الرشاد فتزيح وخامة هذا العناد

نعم انه قد تسنى للملك السعودي العادل أن ينشىء مصنعا يخرج منه الكسوة الشريفة كل عام

المشاريع المفيدة

ولكن ياحبذا لو رفعت مصر عن كاهله نفقة هذه الكسوة ويصرفها هو في وجوه أخرى مفيدة لبلد الله الحرام كرصف الشوارع وتركيب أنابيب المياه لتوصيلها الى المنازل وغير ذلك من التحسينات التي يتطلبها الرقي في العمران اليوم

ومتى توفر لديه المال الكافي يمكنه أن ينشىء سكة حديد من جدة الى مكة وطريقها ممهد لا يحتاج الا الى مد القضبان

كذلك وأمامه مشروع ردم مرفأ جدة حتى يصل الرصيف الى الغاطس (الماء الغزير) فترسوا عليه السفن ويسهل الشحن والتفريغ

يمكن حسم الخلاف

ثم واذا كانت الحكومة السعودية ترى ان نفقة مصر على الحجاز فيه

حط من كرامتها فان هـذا الزعم يدحضه الواقع لان الـكعبة المشرفة الى يتوجـه اليها مسلمو الارض قاطبة ليست ملـكا للحجازيين أو النجديين فحسب بل لـكل المسلمين أن ينظروا فى شأنها ويعملوا لصالحها وأظن أن الملك السعودي الكريم قد تنبه لهذه النظرية فعقد مؤتمره الشهير الذى دعى اليه أمم الاسلام للتشاور فى شأن الحرمين الشريفين

وما اخال اسباب الخلاف بين مصر والحجاز الا ويمكـن التغلب عليها والرجوع فيها الى حكم الله تعالى بغير معالاة أو تعصب للرأي

ولما علمت أخيرا بأن الحكومة السعودية تود أن تنزل على فتوى علماء المسلمين فى مصر بخصوص المحمل الشريف تفاءلت خيرا بان قنـاة الوهابيين أوشكت ان تلين

فى الطواف

صار يلقننا الحاج طاهر نية الطواف بأن نقول. نويت . أن اطوف. بالبيت العتيق . طواف العمرة . سبعة اشواط . لله تعـالى . بسم الله الله اكبر . ونشير بيدنا الى الحجر الاسود

ثم ابتدأنا فى الطواف بان جعلنا البيت عن يسارنا وكـنا ننقـاد للحاج طاهر كما ينقاد الصبي الى معلمه حتى اتممناها سبعا مع دعوات كان يلقنها لنا ايضا وكنا نرمل فى الثلاثة أشواط الاول مع الاضطباع

وكانت يدى فى يد صاحبتى (والمرأة لا ترمل فى الطواف ولا تهرول فى السعي)

وسبب هذا الرمل انه لما جاء أفضل الخلق الى البيت المطهر معتمرا كنص معاهدة صلح الحديبية قال المشركون (انكم سترون اصحاب محمد

obeikandl.com

وقد انهكتهم حمى يثرب) فلهذا عندما أراد الطواف اخرج ذراعه الشريف الايمن من الرداء ووضع اطرافه على كتفه الايسر (وهذا هو الاضطباع) وفعل أصحابه مثله ثم أمرهم بالرمل (وهو الجري القليل) في الثلاثة أشواط الاول ولم يكمل باقي الاشواط استبقاء لعافيتهم حتى صار المشركون يعجبون بفتوتهم وقوتهم ويقولون لبعضهم انظروا لمن تقولون ان الحمى انهكتهم وهم ينفرون كما ينفر الظباء

والحكمة من اتباعنا لسنة الرمل هذه أن الشرع الشريف يحثنا على أن لا يرى منا اعداؤنا الا القوة والفتوة واننا لا نستكين الى العدو ولا نركن إليه لان العدو لا يصير حبيبا يوما ما وفي الوقت نفسه ينبهنا بان الجنس النشيط شأنه دائما الرجولة والبطولة الممثلة في هذا الرمل

الحكمة من الطواف

اننا نعتبر هذا البيت المشرف كأنه بيت الملك ونحن نلتمس المدد والبركة من المالك لنواصي الخلق اجمعين فنطوف حوله حتى تفتح مغاليقه المعنوية ونحظى بالوصول الى حظيرة القدس فيتجلى علينا المنعم الكريم بما هو اهل له من المن والعطاء

وأيضا اننا نطوف به كما تطوف به الملائكة ولنتشبه بالملائكة ايضا وهم يطوفون ببيت العزة في السماء

وبما ان هذا الطواف قد اختص به البيت العتيق المطهر دون سواه فاني الفت نظر اخواننا المسلمين لان يتركوا الطواف حول اضرحة السادة الاولياء

ما بعد الطواف

وبعد الطواف صلى كل مناركعتين سنة الطواف عند مقام ابراهيم الذى ذكر فى القرآن الكريم (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى)

ثم تبركنا بحجر اسماعيل ولزمنا الملتزم بجوار باب الكعبة المشرفة و دعونا الله تعالى عنده بما شاء ان ندعوه به

وبجوار الملتزم قطعة منخفضة عن الارض عمقها نحو الثلاثين سنتى متر وعرضها متر ونصف تقريبا وطولها متر ان يقال ان سيدنا ابراهيم عليه السلام كان يعجن فيها ملاط (مونة) البناء ولذلك يسميها الناس (المعجنة)

(وأذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم. ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم) (قرآن كريم)

ماء زمزم

ثم شربنا من ماء زمزم وتضلعنا منه. وهذه زمزم التى كان خير المتوكلين يتضلع منها فيرتوى ويستقى منها فتغنيه عن الطعام حتى كان يقول (زمزم لما شربت له)

وهذه زمزم التى يذكرها كل فرد من افراد المسلمين فى اليوم بضع مرات و ذلك انه عندما يرى احدهم الآخر يتوضأ يقول له (من ماء زمزم)

ولما كان لزمزم هذه صفحات قيمة فى سجل التاريخ فلنأت هنا بلمحة منه اذا اراد الله سبحانه وتعالى امرا هيأ اسبابه فان السيدة سارة الخليلية لما

استمر معها العقم اشارت على سيدنا الخليل عليه السلام بان يتزوج من وصيفتها هاجر (المصرية) ولما نفذ رغبتها حملت منه ثم وضعت غلاما سويا هو سيدنا اسماعيل ابو العرب ـ وهذا هو سبب القول المأثور (اذا فتحتم مصر فاستوصوا باهلها خيرا فان لكم بها نسبا وصهرا) فالنسب هي السيدة هاجر والصهر هي السيدة مارية القبطية ام الطفل المحبوب سيدنا ابراهيم ابن سيدنا ومولانا حبيب القلوب

ولما وضعت السيدة هاجر حملها اتقدت نيران الغيرة في قلب السيدة سارة فحتمت على بعلها الكريم ان يبعدها وطفلها في أحدى الانحاء النائية فامره الله تعالى ان يذهب بها الى مكان البيت هذا وقد اعدلها اركوة فيها ماء ومزود فيه بعض الزاد

ثم انظر الى البصائر النيرة التي يتصل نورها بالنور اللدني فهي دائما تركن الى التسليم وترتاح اليه وهي دائما ترضى بما يرضيه سبحانه وتعالى حيث تقول له السيدة هاجر عندما تركها وطفلها في هذه المهمه القفر وولى عنها (آلله امرك بهذا ؟ قال نعم . قالت اذن لا يضيعنا) فلما نفد كل ما معها من زاد وماء واقترب الطفل الكريم من ابواب الابدية نظر اليها مولاها بعين رحمته وانبع لها من فيض كرمه عين زمزم هذه المباركة

وكان العرب القاطنون على بعد من هذا المكان يرون الطير تحط عليه والطير عادة لا تنزل الا على ماء فارسلوا رائدهم واكتشف الماء فجاء القحطانيون واتفقوا مع السيدة هاجر ان يمكثوا عندها وان يقوموا بكل ما يلزمها من انواع الحياة فرضيت بجوارهم ثم ترعرع سيدنا اسماعيل وساد القوم بما اوتي من العلم ومن النبوة وتوارث بنوه ولاية البيت بعدما بناه هو وابوه الكريم

ولما وصل امر ولاية البيت الى جرهم واستخفوا بحرمته وراى آخر ملوكهم مضاض بن عمرو ان النصيحة لا تنبت في الارض الجرز طمر غزالتين

من ذهب فى زمزم وردمها و استمرت مطمومة زمن خزاعة وقريش نحو الخمسة قرون

الى ان اراد الله سبحانه وتعالى ان يظهر زمزم تمهيدا لظهور انوار النبوة العظمى أمر الشيخ عبد المطلب فى المنام بحفرها واراه الهاتف مكانها فازدادت قريش بها عزا ورفعة

فى المسعى

خرجنا من باب الصفا ملبين مهللين مكبرين حتى وصلنا الى اسفل الصفا وهو ابتداء السعي

(إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم) - قرآن كريم -

انه ليخيل الي انني اشاهد اكمل الخلق وهو يريد ان يسعى فيمنعه الزحام وكان من رحمته ورأفته (كما سماه مولاه بالمؤمنين رؤوف رحيم) ان لايضرب الناس بين يديه ليفسحوا له الطريق فيمتطي العضباء والناس يتزاحمون للتمتع بمحياه الشريفة حيث خرج الجميع حتى المخدرات من خباءهن ليشاهدوا نور النبوة و الطلعة البهية

ثم تخيلت ايضا وقوف ابي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود وهو يقول للناس (والله العظيم ان من انزل عليه آيات الذكر الحكيم كان يقف هنا مبتدئا بالسعي)

اتجهنا للبيت المشرف وكبرنا ونوينا السعي ثم ابتدأنا به ومعي صاحبتى حتى وصلنا الى المروة وقد احتسب هذا شوطا ثم عدنا من المروة الى الصفا

احتسب شوطا آخر وهكذا حتى اتممناها سبعا وكنا نهرول بين العلمين الاخضرين فى كل شوط منها وكان الحاج طاهر يلقننا الدعوات الصالحات اثناء الاشواط كلها

ثم قصرت لصاحبتى بأن قصصت لها قليلا من شعرها ثم قصرت لنفسى ايضا وجلسنا نستريح فى انتظار اصحابنا الذين يحلقون عند الحلاق

الحكمة من السعى

جلست افكر ثم افكر مليا فى هذه المظاهر الجليلة التى ليس فيها تزويق ولا تنميق تذكرت الحكمة من السعي وهي لاجل ان نقوم بشكر الاله عز وجل على نعمته الكبرى بان من على السيدة هاجر فانقذها وطفلها العظيم من هلاك الظمأ وانبع لها من فيض احسانه ماء زمزم حتى يخرج من نسله رحمة العالمين لينقذ العباد من مهلكات الفساد

وهنا أيضا حكمة جليلة لا تخفي على الفطن اللبيب وهي ان هذه السيدة وهي ضعيفة لتركيبها النسوي لم تبلغ مناها الا بعد سعيها الحثيث بحثا وراء الماء

وكذلك يقول لنا السعي بلسان فصيح انكم لا تبلغون مناكم ولا تنقاد لكم امالكم الا بالسعي فاسعوا الى الامام والى الامام دائما حتى تكونوا سادة الامم والسعي هو الجسر الموصل الى النجاح والفلاح

والى هنا تمت اعمال العمرة .هذا والمحرم لا يقتل الصيد ولا يرشد اليه حتى ولو بالاشارة ولا يقرب النساء ولا الطيب ولا يحلق شعره او يقصه أو يقلم أظافره وغير ذلك مما هو مذكور فى كتب الفقه

والتعب ايضا رحمة

رجعنا الى المنزل وكان يباح لى ان اتحلل والبس ثيابي الا ان التعب

اعياني فاستسلمت الى الرقاد

انني تعبت وكان موجودا بجوار المسعى الحمالون التكارنة ومعهم سررهم ليحملوا الذين يكلون عن السعي ويوجد ايضا بعض الحمير للركوب ولكنني اردت ان اتمه بنفسي لنحصل على اكبر نصيب فى الثواب

وما يكون لى ان اذكر شيأ عن هذا التعب الا انى اعتقد انه رحمة لنا اذ لولا هذه المتاعب لتفتت الكبد وتمزقت المرارة من شدة الفرح بهذا اللقاء العظيم

انظر الى اثار رحمة العزيز الغفار وارجع البصر الى هذه الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وقدرته حيث انني لو تعرضت الى الهواء فى اي جزء من جسمى لمسنى السوء ومرضت ولكنني خلعت ملابسى ولبست ثياب الاحرام وهي ليست محكمة على البدن ومع هذا فانني ظلت سليما معافى والحمد لله رب العالمين

اول جمعة والسورة

اصبحنا الجمعة ٢٢ القعدة ١٠ ابريل فتهيأنا للصلاة ولما تشرفنا بالدخول الى الحرم الشريف لم اجد مقرئا يقرأ سورة الكهف كما هو الحال عندنا وهم يقولون ان السلف الصالح ما كان يقرؤها

كان سيدنا ابو بكر الصديق يعمل أشياء فى خلافته لم يعملها سلفه العظيم ويقول انى افحص الشيء فى نفسى فاذا وجدت له ارتياحا وانشراحا فى صدرى اقوم بتنفيذه وقس على هذا ما يفعله الخلفاء الراشدون ومن بعدهم

الصوت الحسن ينبه الاعصاب الفاترة وينعش الاحساس والشعور

فترتاح اليه النفس وتأنس له ولا سيما اذا جاء هـذا الصوت الحسن مع الحكمة التى تضمنتها آيات الذكر الحكيم فأنه يكون ابلغ اثرا فى الموعظة فما بالنا لا نرتل القرآن ولا نترنم به والناس فى انتظار الصلاة فتخشع قلوبهم لذكر الله تعالى

وكان المسجد ليس به كبير زحام لان الذين يبكرون فى السفر الى الاراضى المقدسة يذهبون أولا الى المدينة المنورة للتشرف بالزيارة ثم يعودون الى الحج اما نحن فقد أردنا ان نختلس الوقت لنحظى بالتمتع فى بيت ربنا عز وجل

المشاهد العظيمة

نعم أردنا أن نروح النفس بهذه المشاهد العظيمة التى خلق بينها هذا المولود السعيد الذى خرج مع ولادته نور اضاءت له قصور بصرى بالشام ومعنى هذا النور ان العالم سيستضىء بتعاليمه القويمة حتى يرى الحياة واضحة جلية فيطرح عن كاهله اعباء الاستعباد

وتصدعت لمولده الشريف شرفات إيوان كسرى ومعناه ان قوة بطش هذا المولود الكريم فى الحق ستدمر كل ما اقامه الطغاة وتقضي على هذه المجوسية وعلى عبادة الاشخاص

وقد تنكست الاصنام عند ولادته الميمونة ومعناه ان قد أقترب الوعد الحق لتطهير البيت المشرف من ارجاس هذه الاوثان وجعله كما كان مختصا بعبادة الرحمن

وقفت خاشعا متذكرا عند ما ترعرع هذا الطفل المحبوب وشيوخ قريش جلوس في دار الندوة بجوار الكعبة المشرفة واذا به يتخطام حتى

يجلس على وسادة شيخ الحرم جده شيبة الحمد عبد المطلب بن هاشم كبير قريش وزعيمها فلما ينتهره الشيوخ ليبعدوه عن الوسادة يجهش بالبكاء ولما يأتى جده الوقور يقول (دعوا ولدى فان نفسه تحدثه بمستقبل عظيم)

كل هذه الذكرى مرت فى رأسى ثم ذكرت ايضا هذا الحجر الاسود ويحمله شيوخ قريش على رداء الشاب الامين وهو يناهز العشرين من حياته الشريفة فيتناوله ويضعه بيده الكريمة في مكانه الحالي وذلك عندما شجر الخلاف بينهم عمن يكون له شرف وضعه بالركن وقت ان قامت قريش ببناء البيت المطهر واحتكموا اليه

نعم تذكرت هذا الشاب الغض الحياء النزيه العف عندما بلغ سن الكهولة وشرفه الله تعالى بالرسالة . ذكرت وقفاته المشهودة وهو يناضل عن مبدئه الكريم القويم وصناديد قريش يواصلون اليه الاذى ثم يأتي الشقي عقبة بن ابى معيط فيرمى عليه فرث الجذور وهو ساجد فلا يجسر احد على رفعه عنه حتى تأتي السيدة الزهراء وهي لم تزل يافعة بعد فتلقيه عن ابر والد واكرم مخلوق وهي توجه اليهم اقسى عبارات اللوم والتوبيخ

وتذكرت ايضا يوم ان ضيق الكفار عليه الخناق وياخذوا بتلابيبه حتى يأتى صديقه الحميم الكريم ويحجزهم عنه وهو يقول (اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله)

تذكرت كل هذا فعرفت كيف يكون الصبر على احتمال المكاره وعلمت ان هذه من رحمات الله تعالى بنا حيث يعلمنا عمليا عن يد رسوله الامين ان ننهج هذا النهج العالي فى الثبات على المبدا مهما كان الاذى فى سبيله

ثم ذكرت بعد هذا عاقبة الصبر الجميل و تذكرت هجرته وعودته محفوفا برعاية مولاه عز وجل حتى فتح عليه أم القرى و تكاد ان تمس جبهته الشريفة رحل راحلته تواضعا لله تعالى وشكرا له على نعمة هذا الفتح المبين ثم طهر الكعبة المشرفة من عبادة الاصنام وهو يشير اليها بقضيب كان في يده ويقول (قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا)

طهر البيت المشرف واصبحت الانسانية بفضل الله تعالى و ببركته ويمنه لا تعود فتتخبط فى ظلمات الوثنية مرة اخري

منازل الحجاج

اتممنا الصلاة وعدنا الى المنزل وكان لزاما علينا ان نتفق على منزل ننزل به مدة مقامنا بالبلد الامين وقد ذهب الحاج محمد سليمان ومعه اخواننا القنائيون للبحث عن غرفة تكون اقل كلفة من الغرفة التى نزلوا بها لان الحاج طاهر فرض عليهم ثلاثة جنيهات اجرة لها مدة اقامتهم بمكة المكرمة يدفعها هم الستة

اما انا فقد فرض علي خمسة جنيهات عن سكننا واورى ان الحظ قد ساعدنا بسبب قلة الحجاج فى هذا العام اما لو كان كالاعوام السالفة لكانت الاجرة تساوى ثلاثة اضعاف هذه القيمة

ولما لم يجد الحاج محمد سليمان احسن من سكننا هذا بعد ما دقق البحث اضطررنا لان نقبل الاجرة وان اقبل ايضا انفرادي بالسكن حرصا على راحة صاحبي وصيانتها . وعلى هذا فقد سلمته الاجرة وسلمته ايضا اربعة جنيهات رسوم المطوف عنا نحن الاثنان

ومن عادة الحجاج ان يتعرفوا ببعضهم ومتى نزلوا عند مطوف واحد

يكونون كعائلة واحدة فينزل الرجال فى غرفة ونساؤهم فى غرفة أخرى ويوزعون اجرتها عليهم بالتساوى اما الذين ليس معهم نساء فيمكنهم الاقتصاد فى النفقة بحيث انهم يوفرون من اجرة السكن فيسكن بعضهم فى المقاهى أو يسكن فى بيوت أرضية رخيصة ويوفرون ايضا من اجرة الركوب ومن الطعام والشراب

رسالة مطمئنة

لما كان الواجب على كل مسافر ان يطمئن اهله على وصوله سالما لهذا لم اجد بدا من ارسال اشارة برقية الى مصر وقد اجتهدت ان تكون الرسالة مقتضبة جدا حتى لا أتحمل عنها نفقة كبيرة لان اجرة الكلمة الواحدة احد عشر قرشا صاغا مصريا فجعلتها من اربع كلمات فحسب والامر الذى يستلفت النظر فى هذا الخبر ان الحاج طاهر لما سلم الرسالة الى عامل البرق هنأه بالحظ الذى صادفه من نزول صاحب هذه الرسالة عنده لانه من رجال مصر المعروفين فعاد الي وتنرخ اعطافه فرحا بهذه الصدفة الجميلة لانهم يفرحون كما يفرح الزارع بنمو زرعته

سلامة الاخراج

قضي الامر وخرج حسن افندى كتوعة من معمعة الجدل منتصرا يحمل اكليل الغار حيث دار حوار شديد بينى وبينه عندما تسلم الاخراج منى مع اجرة الجمل بجدة وانا لا اكاد اصدق ان تصلنى سليمة ولم تعبث بها ايدى العربان كما كنت اعهد ولقد دهشت وقت ان تسلمت الاخراج ثالث يوم وصولنا الى مكة المكرمة ولم اجد بها ما ارتاب فيه لانى بحثت ونقبت طويلا

وكانت النهايه ان رفعت أكف الضراعة الي المولى عز وجل ان يشمل من أمن طريق المسلمين بامانه ورضوانه

الفداء للعمرة

بقى علينا الفداء للعمرة كنص الكتاب الكريم (فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي) فاتفقنا على ان نذهب يوم الاثنين ٢٥ القعدة ١٣ ابريل الى سوق الماشية جهة الحجون لنشترى الشياه اللازمة للفداء

وقد تركت صاحبتى بالمنزل لتستريح وتأنس بالسيدة صاحبة البيت لانها كانت تظهر لها من العطف مايجعل الاخرى تثنى ثناء طيبا عليها وعلى قريباتها اللائى كن يحتفين بها كثيرا وهن جميعا من عائلات عريقة فى مكة المكرمة

وقمنا بعد ان تناولنا طعام الافطار وشربنا الشاي

الشاى فى مكة

والشاي لازمة من ضروريات الحياة فى مكة المكرمة حيث تري اهلها رجالا ونساء شيوخا واطفالا كلهم يشربون الشاي ولهم اعتناء خاص فى طبخه وقل ان تجد منزلا وليس به الموقد وعليه غلايات الشاي وكنت ارتاح جدا لشربه عندهم حيث لم اجد في حياتى مثل الشاي الذى يسوونه فى الطعم والنكهة وكذلك الاعراب لهم ولع عظيم بشربه وهو كيف عندهم ايضا فلا يمكنهم السير بغير ان يتناولوا منه كمية تسكن اعصابهم

الاثار الشريفة

من الغريب ان الحاج طاهر وزميله الشيخ حسن كانا يحضران عندنا كل وقت لقضاء مصالحنا بطيبة خاطر ولم أجد من أحدهما ميلا لان يرافقنا

للفسحة فى أنحاء البلد وزيارة الاماكن المقدسة بهـا مثل المحل الذى ولد فيه سيد الكائنات والمحل الذى ولد فيه سيدنا علي ودار الارقم ومولد السيدة الزهراء وغـير ذلك من الآثار الشريفـة والسبب فى ذلك ان الحكومة السعودية حظرت على الناس دخول هذه الاماكن بالمرة

اعظم دار فى الوجود

سرت مع اخواننا القنائيين والحاج محمد سليمان من طريق الشـامية فدرب الحجر وهناك وجدنا بقعة مستوية من الارض قيل انها كانت دار السيدة الكريمة خديجة بنت خويلد وقد هدمتها الحكومة

سبحان الله العظيم . دار السيدة خـديجة بنت خويلد تمحى وتصبح حتى ولا أثر بعد عين ؟

هذه الدار التى سطع منها هذا النور الذى اهتدى على ضوئه الخلق فى الوصول الى الحق

هذه الدار التى انبعثت منها رحمات الله الصمدانية على الارض فسكن الناس اليها وتفيأوا ظلال هذه الرحمات

سبحان ربنا المستعان . دار النبي الكريم التى كان يتلقى فيهـا أوامر السماء والتى كان يهبط اليها الامين جبريل بالوحي والتنزيل تمحى وتسوى بالارض

أقسم ان لو كانت هـذه الدار فى فرنسا أو انكلترا مثلا لبنيت عليها العـلالى والقصور وجعلت من أحسن الآثار وأكبر المقتنيات . وهـذه فرنسا تجعل الكوخ الذى كان يسكنه أحد شعرائها أثرا خالدا يحج الناس اليه

فان كنتم تخافون ان يتمسح النـاس بأثر حبيب القلوب وهو مخلوق فدعوا النـاس يتبركوا بآثار مولاه الخالق جل شأنه لانه تعـالى شرف

هـذه الدار بأن بعث اليهـا روحه الامين يلقى تعـاليمه لخلقه على قلب حبيبه المأمون

فهذا أعظم بيت فى الوجود ايها السادة . هـذا بيت أشرف الورى وأكرم الخلق على الله . وقد ذكر فى القرآن الكريم مرات عديدات فما بالكم تصمون آذانكم عن صيحات الحق التى يلفتكم بها جميع المؤمنين ان لاتخرجوا عن الاجماع والجماعة

كان أحرى بالمسلمين ان يحتفظوا باكبر أثر فى الوجود ولو وصل صوتى الضعيف الى مسامع العاهل الكريم لقلت له ان تق قلبك وأعد بناء هذا البيت العظيم كما كان فى عهد الرسول الكريم ثم امتلك البقـاع حوله لتشيد عليها بناء عصريا فخما (وان استطعت ان يكون من فضة أو إبريز) فهو احدى القربات الى الله تعالى ودع النـاس وخالقهم يتوصلون الى بابه بتقربهم من حبيبه

درب الحجر

قل لى ياحاج طاهر انه درب الحجر وما يدريك مادرب الحجر هو الزقاق الذى كان يمشى فيه سيد الانبياء فى أول نبوته فيسلم عليه الحجر الذى به ويقول له بفصيح العبـارة (السلام عليك يارسول الله) كما كانت باقى الاحجار تقرؤه السلام

كل مايتجلى أمامك هو حجر ومدر ودور وناس تروح وتغدو ولكن شيأ آخر لايدرك الا بالبصائر هو الجلال والـكمال والنور والرحمات التى توزع على الخلائق والملك على ارجائهـا يحملون أبرك التسليمات والتحيات لمن يؤمون هذا المـكان المحفوف بعناية الرحمن

ان بعضهم ينسب الزندقة والزيغ بل والكفر والالحاد لمن يقول بهذا القول . ولست أدرى من أي ناحية يأتى الكفر هل لانه يبعد على القدرة الآلهية ان تنطق الاحجار أو لان المنعم عليه بالسلام لايستاهل هذا الانعام ؟ فلا حرج على فضل الله ايها السادة (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء)

الكواكب فى المقابر

القينا عصا التسيار الى المعلاة واذا بى أجدها قاعا صفصفا بعد ان كانت عامرة بالمباني التى تحوى قبور العظماء من هذه الامة

دخلنا وسط هذه المقابر وبعضها معلم بالاحجار وقد وجدنا عجوزا تشير الى قبر تجلس بجواره وتقول (هذا قبر سيدنا عبد الرحمن بن سيدنا ابي بكر الصديق) انعم واكرم ثم سرنا حتى اقتربنا من سور عند سفح الجبل فوقفنا على تل بجواره وقرأنا ماتيسر من القرآن ووهبناه الى أرواح هؤلاء السعداء

خير قبور المعلاة

وقفت جامدا مبهوتا امام قبر السيدة الجليلة خديجة بنت خويلد التى درج الاسلام من عشها وانتشرت الحكمة والموعظة الحسنة من بيتها ولها الفضل العظيم على الاسلام بان واست النبي الكريم بمالها وعطفها وهي أول من آمنت به وأول من أقام الصلاة خلفه وهو يصلى بصلاة جبريل وهي علاوة على نبل أصلها وكرم محتدها فانها كانت راجحة العقل قوية الادراك على جانب عظيم من الحكمة والنظر الصائب ومن رجاحة عقلها

انه لما أخبرها الصادق المصدق بتردد الملك عليه ازاحت الخمار عن وجهها ورأسها فاخبرها السيد العظيم بذهاب الملك ولما أعادته عاد · عنـد ذلك علمت ان الذى يأتيـه هو الوحي الجليل وليس هو الاغماء الذى يعترى المصروعين أو الذين يمسهم طائف من الجن

تالله انها لو دفنت فى البنتيون الذى يدفن فيه الفرنساويون عظماءهم لكان قبرها هو المفرد العلم بين القبور واذا ماكفت نفائس الاحجار لبناء القبر لأتموه بجماجم وعظام كرماءهم وكانت تحج اليه أوروبا من كل صقع وواد

حول تشييد القبور

اذا كان قد صدر من مقام الرسالة المظمى شيء من النهي عن تشييد القبور فيكون هذا النهي عن تشييدها بقصد العبادة بدليل القول المأثور (لاتتخذوا قبرى وثنا يعبد) أما التشييد بقصد العمران فقد وصل الى علمنا ان امام المتقين قد وضع علامة على قبر أحد أقرباءه الكرماء فهل نظل نعلم قبورنا بالحجارة أو نتمشى مع الوقت ونشيد بنيانها حتى نعرفها؟

ثم وهل من المسلم به ان تتمثل خريطة المستقبل امام من كشفت له حجب الغيب الكوني ويرى الامم تسير أشواطا بعيدة فى الرقي العمراني ثم يأمر أمته ان تقف مكانها جامدة ؟

هذا وتشييد القبور فيه فوائد عظيمة جدا . أنظر الى الافرنج وهم اهل المدنية فى العصر الحاضر تراهم يشيدون بذكرى عظماءهم حتى اقاموا أخيرا (قبر الجندي المجهول) ومأربهم من هـذا ان يتولد الحماس والشهامة في نفوس الشعوب

فما يضر لو اقيمت هذه القبور العزيزة علينا وشيدت على احدث طراز

وفوقها القباب التى تناطح السحاب تعلوها الاهلة الذهبية التى تتوهج مع شعاع الشمس حتى يعرف الملأ من المسلمين ان أصحاب هـذه القبور هم الذين باعوا أنفسهم فى الانتصار للحق وفى اعلاء كلمة اليقين التى يتعلم منها الانسان المعنى الحقيقية (للحرية والاخاء والمساواة)

وانهم ثبتوا حتى الموت فى تأييد هذا المبدأ . عند ذلك يتمنى كل من يراها ان يسير على هديهم حتى يلاقى من التكريم من أمته مالاقاه هؤلاء الاخيار بعد مماتهم

تالله ان أهل الارض طراً لمدينون لاصحاب هذه القبور العزيزة لان الرسالة العظمى جاءت لرحمة العالمين وهؤلاء الذين قاموا بتأييد مبدأ الرسالة الاقدس حتى عم الاحسان للناس أجمعين

أما مسألة التمسح التى تهتم له الحكومة القائمة بالامر هناك فيمكننا الاستغناء عنه والاكتفاء بالاقتداء بهؤلاء الاعاظم وفى هذا الاقتداء كثير من الخير والبركة

اسرات تتالم

هذا ومعاول التدمير التى قوضت هذه الابنية العزيزة علينا قضت كذلك على أمال عائلات كانت تمرح فى رغد العيش ونضرة الحياة حيث كنا ندخل على الضريح فنجد خادم القبر وامام المسجد والمؤذن وفراش الجامع ومالىء المياه وسواهم وكل هؤلاء كانوا يرتزقون من عطايا الزوار وكل منهم يعول عائلة هي من جسم الامة وقد تحول نعيم هـذه العائلات الى شقاء أصبحت لاجله تستصرخ السماء من قسوة أهل الارض

اسلام المتحضرين

يقول الامام الحكيم المرحوم الشيخ محمد عبده (ان الاسلام طفل سينمو) لثقته ان مبادئه الكريمة تتمشى مع الفطر السليمة وتتقبلها البصائر التي لا يطمسها الغرض بقبول حسن وقد تحققت نظرية الاستاذ الامام الآن عندما بحث قوم من المتحضرين فى أصوله القويمة أمثال (هدلى ودينيه) وغيرهما من الامريكيين والاوروبيين ولما راقت فى أنظارهم دخلوا فى دين الله أفواجا

وعلى كل حال انه عندما نباشر بشاشة الايمان القلوب لا يمكن أن يزاحمها عبادة أحجار أو حوائط أو قبور أو غير ذلك مما يحذرون

والحمد لله قد قطع الاسلام من عمره المديد هذه القرون الاربعة عشر وهو ثابت الاركان راسخ البنيان ولم نسمع بأن أحدا من معتنقيه قد تركه الى عقيدة أخرى

وهؤلاء المبشرون بين ظهرانينا ينثرون الذهب باليمين ويلوحون بجاه دولهم بالشمال وهم يكدون عقولهم وألسنتهم بأمل التأثير على ضعفاء المدارك والافهام ومع ذلك فلم يطاوعهم أحد حي ولا ممن يسيل لعابهم لرؤية الاصفر الرنان لشدة عوزهم وافتقارهم

الحجون والحجاز

عدنا أدراجنا الى الحجون والحجون كلمة يرددها اللسان ولكن ينطوى تحتها تاريخ حافل بعظائم الامور وجلائل الاعمال . فالحجون يذكرها فى شعره عمرو بن الحارث آخر الجرهميين الذين كانوا ولاة البيت

ثم دالت دولتهم بعد أن أبادتهم صروف الدهر . والحجون هو شعب بنى هاشم الذى حوصروا فيه وقت أن قاطعتهم قريش . والحجون هو المكان الذى ارتكزت فيه راية الاسلام عندما دخل سيد المجاهدين الى أم القرى وقد فتحها الله عليه . وكم للحجون من ذكر وكم لها من تاريخ

يذهب العامي الى الحجاز وهو يضع نصب عينيه انه يروح باسم ويغدو باثنين (الحاج فلان) وبعض الناس أيضا يذهبون لاداء الفريضة فحسب ولكنهم لو دققوا البحث فى كنه الحجاز لعرفوا أنه البطارية الكبرى الهائلة التى توزع النور والعرفان على العالم باسره

الى المجزرة ومنها

وأخذنا طريقنا الى سوق الماشية وجلسنا على مشرب للقهوة هناك (والمقاهى بالحجاز كل اسرتها من نوع (العنجريب) وأكثر المشروب بها الشاي والمياه تعطى بالثمن)

ساوم الحاج طاهر بائع الغنم واشتري لى شاتين واحدة عني والاخرى عن صاحبتى واشترى اخواننا القنائيون لانفسهم وذهبنا بالشياه جميعها الى المجزرة وراء المعلاة ووكلنا احد القصابين فى ذبحها ثم عدنا ووكيل المطوف احضر اللحوم الى البيت لتوزيعها على الفقراء بمعرفته وبالطبع انه كان له ولتوابعه كفل منها . وعند عودتنا مررنا من طريق الغزة ثم نظرت الى قصر الامارة الشريفية وقد كانت تعلوه المهابة وتزينه أبهة الامارة ورونق الملك واذا بي اراه الآن وقد فارقته زهوته وبهجته وسبحان محول الاحوال

والذى استلفت نظرى أثناء الطريق انى رأيت فى سوق البسط والاكلة والاحمال وما اليها بعض العساكر السعوديين وهم يبيعون ويشترون

بنشاط عظيم حتى أعجبت بهم

الامر بالمعروف

استيقظت في الصباح المبكر كالمعتاد يوميا على صوت الشرطي (الصلاة الصلاة) بصوت مسموع وما أحسن هذا الدعاء الى الخير . ومن عادة الحكومة السعودية ان من يتأخر عن المفروضة في وقتها ترتب عليه العقاب الصارم وهكذا يكون الالتفات من جانب الحاكم العادل الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وليس كما يفعل الافرنج ومن يلف لفهم ان يتركوا للناس الحبل على الغارب بحجة عدم المساس بالحرية الشخصية . نعم انه من حقوق الانسان ان يتمتع بكامل حريته ولكن على شرط انها لا تتعارض مع حرية الغير . كأن يترك رجل يحتسى الخمر ويدمن فيه حتى تضيق ذات يده فينحدر مع عائلته الى هاوية سحيقة من الفقر المدقع وهذه الاسرة هي عضو من جسم الامة واذا اشتكى منه عضو تألمت له سائر الاعضاء فكيف يترك هذا المدمن وقد جنى على نفسه وعلى عياله ؟

وهل من الحكمة ان يترك رجل يتعقب فتاة ليغريها على الفساد فتقع البنت في مزالق الريبة وتلوث شرف عائلة هي أيضا من جسم الامة . هل نترك هذا أيضا للحرية الشخصية ؟

وقد ورد في محكم التنزيل (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وورد من طريق آخر انها تزيل الجرائم عن الاطراف التى تغسل عند الوضوء خمس مرات في اليوم . فلماذا لا نؤاخذ تارك الصلاة حتى يتقى الناس شره وحتى ان الجرائم التى علقت به لا تضره ولا تضر غيره ؟

وهل يترك رجل يثرى من عرق جبين الامة ولا يؤدى زكاة ماله حتى يعض الجوع الفقير بنابه فيضطر ان يكون وحشا مفترسا

وما دمنا اننا وصلنا الى الكلام عن الزكاة فانه منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا تلقى رحمة العالمين من السماء ان (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) وقد فرضت الزكاة وتقرر ان يكون فى أموال الاغنياء حق معلوم للسائل والمحروم وفى عصرنا هذا يقوم المتحضرون من الفرنجة ويقررون هذا المبدأ الذى هو أحد قواعد الاسلام الخمس وهم يعبرون عنه بالاشتراكية يظهرون بها عطفهم على البائس الفقير وقد عطف عليه الاسلام قبلهم

كل هذه أمورلها قيمتها من الاعتبار والتأمل ومن واجب الحكومات الرشيدة ان تنظر الى الاخلاق بعين العناية لان العلم لا يكون نافعا الا اذا أحيط بسياج متين من الادب والاخلاق

وبالجملة انى أقول ولا أخشى فى الحق لومة لائم اننا جعلنا بيننا وبين الاخلاص لله تعالى سدا يحيل بيننا وبين التوفيق الذى هو أجل ما ينزل من السماء

وكان السعوديون فى أول حكمهم يمنعون شرب الدخان ومن يجدونه يستعمل التدخين يذهبون به الى مخفر الشرطة و(يفرشونه) أي يضربونه عقابا له ولكنهم أصبحوا الآن يتساهلون بعض الشيء

الاحكام فى الحجاز

تقام الاحكام فى الاقطار الحجازية على موجب الشريعة الغراء وللسادة العلماء النجديين الكلمة العليا فى اصدار هذه الاحكام كما وانه يرجع الى رأيهم أيضا فى تدبير شؤون المملكة . وفى بعض الاحيان يحتاج العلم لان يمتزج بشيء من الحذق والكياسة حتى تسير الاحوال على ضوء المعرفة بنهضة العالم ورقيه . وعلى كل حال فان الاحكام التى تصدر في الحجاز

الآن هي أحكام عادلة ولا يردع البدو غيرها لأنهم لا يزالون على شيء من صعوبة المراس ولم يهذب نفوسهم العلم الصحيح المقتبس من تعاليم الملة السمحة والصرامة في الاحكام التي لا تخرج عن حدود العدالة هي الوسيلة التي يتذرع بها الاداري الحازم للصعود بامة من حضيض الفوضى الى مستوى النظام والفلاح

ولو نظمت هـذه الاحكام على قواعد دستورية وقوانين محررة على موجب الكتاب والسنة أيضا للعمل بمقتضاها في كل العصور حتى لا تسير الاحكام مع أهواء الحكام وميولهم

ويجب ان تسير الاجراءات وتنجز الاحكام بسرعة حتى يتسنى للعدالة ان تؤثر تأثيرها في ردع المجرمين حفظا لكيان الامة وحرصاً على سلامتها (ولكم في القصاص حياة ياأولى الالباب)

أما التطويل في الاجراءات والتنفيذ جريا وراء أوروبا وهي قد صارت تقنن القوانين وتشرحها وتغربلها وتنخلها تعمقا في البحث وراء العدالة حتى فلتت من أيديها وتاهت عنها

ادخل أي مصرف من مصارف أوروبا أو امريكا تجد الكاتب يجلس في مكتبه وأمامه المسدس على المنضدة ليدافع عن نفسه ضد هجمات العصابات المسلحة وما جرأ هؤلاء اللصوص على الاستخفاف بهيبة الحكومة الا مرونة قوانينهم وكثرة التعاريج في طريق الوصول الى الحق

بلدة دار السلام

ولقد قرأت قبل الحرب شيأ عن بلدة دار السلام حاضرة المستعمرة الالمانية وعن الاحكام فيها وكانت هذه البلدة تكاد ان تبز عواصم أوروبا

فى النظافة وجمال الترتيب والوضع وكانت الاحكام فيهـا استبدادية وعادلة جدا . فمثلا عند مايمر ملاحظ النظام ويرى قمامة عند باب أي دار فيقرع هذا الباب حتى يجاب ويطلب مقابلة صاحب البيت ويأمره ان يزيل هذه القمامة بنفسه فيذعن للامر وعند ذلك يضطر الخدم ان لايتركوا القمامات بجوار البيوت خوفا على سادتهم من مثل هذه الحال

وكذلك عند مايضبط أي جان متلبسا بالجريمة يحاكم فورا امام مجلس أحكام يحكم بموجب قوانين عادلة وزاجرة وتأخذ العدالة مجراها حتى يحكم فى القضية وينفذ الحـكم فى مدة وجيزة حتى وان الجرائم امتنعت بتـاتا من هذه البلاد

أما فى الاحوال المدنية فانه عند مايطالب رجل رجلا بدين عليه ان يذهب الى الضبطية القضائية ويقيد اسمه بدفتر المطالبات فيرسل معه قاضى الامور المدنية أحد رسل المحكمة (المحضر) ويستحضر المدين ويأمر الاثنين باستحضار مستنداتهما وشهودهما فى ساعة يعينهـا ثم يفحص القضية ومتى ثبت الدين ينظر فى حالة المدين المالية فان كان متيسرا يضطره الى السداد فورا وان كان ذا عسرة يقسط عليه الدين على حسب مقدرته على الدفع

ونجاز الاحكام بهذه السرعة مع استيفاء مراسم الحقيقـة هو أقرب الى التمشى مع العدالة والعدالة هي العماد القوي والركن الركين الذى تستند اليه الامم فتحيي حياة طيبة هادئة

الهوادج والعربات

من اللازم الضروري أن ننظر فى أمر انتقالنـا إلى عرفات وكانت فكرة حسن افندي كتوعة أننا نتوجه على الهوادج (الشقادف) من نوع

الخيزران وقد أوعز إلى الشيخ عبد الكريم الخطيب صهره وصاحب المكتبة المعروفة بمكة المكرمة (وهو أخو الشيخ عبد الملك الخطيب زعيم الجالية الحجازية بمصر) بأن يقابلني فتفضل بمقابلتي وعرفني بأن الشقادف التي صنعت حديثا ليس فيها شيء من المشقة ولا خوف منها على الراكبين ولكنني كنت أرغب في زيادة الاعتناء براحة صاحبتي وكنت سمعت أن السيارات تطلع الى عرفات بالاجرة وقد حدث في العام الماضي أنه عند دخول السيارات إلى عرفة وتراها الجمال وتسمع ازيزها وصوت بوقها كانت تجفل وتبرطع وتقفز فتشتبك الهوادج وتلقى الاحمال وتسبب عن هذا موت بعض الحجاج لهذا أصدرت الحكومة أمرها بعدم سير السيارات في هذا العام

وقد اتجهت أنظار الناس إلى تأجير العربات الصندوق وكانت العربة تسع من أربعة انفار إلى ستة وهي ذات عجلتين وبكل عجلة (ياي) لاجل رفع خشب العربة عن العجلات حتى لا تعمل شيئا من الارتجاج يضايق الراكبين . وقد رأيت أن نؤجر العربة لنا وحدنا حرصا على زيادة راحتنا وكانت أجرتها عشرة جنيهات ذهابا وعودة واشترطت معهم على أن يكون مسيرنا إلى المشاعر على حسب السير في الحج المبارك وهو

حج خير الناس

صلوات الله وسلامه عليه وكان في السنة العاشرة من الهجرة الشريفة حيث قام من مكة المكرمة يوم التروية وهو اليوم الثامن من شهر ذي الحجة (وسبب تسمية اليوم الثامن هذا بيوم التروية أن العرب كانوا عندما يقومون إلى الحج يجهز كل منهم سقاءه ويأخذ من الماء ما يكفيه هو ومن معه مدة

عرفة إلى أن يعود منها حيث لم يكن هناك ماء وقتها)

وقد وصل إلى منى فصلى بها العصرين والعشاءين كل صلاة فى وقتها وبات بها وبعد أن أقام صلاة الصبح فى اليوم التاسع قام مع الاشراق من منى حتى وصل إلى نمرة فنزل بها حتى إذا كان بعد الزوال ركب القصواء حتى أتى بطن الوادى من عرنة خطب الناس وهو على راحلته خطبته المشهورة التى ذكر فيها تحريم الدماء والاموال والاعراض ووضع ربا الجاهلية وأول ربا وضعه ربا عمه العباس ووضع دماء الجاهلية وأول دم وضعه دم ابن عمه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب (وكانت هذيل قتلته) وأوصى بالنساء خيرا وأمر بالاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله وأشهد الله عز وجل على الناس بتبليغ الرسالة . ولما أتم خطبته أمر بالاذان فصلى الظهر ركعتين أسر فيهما بالقراءة (وكان يومها يوم الجمعة فلم يصلها) ثم أقام فصلى العصر قصرا أيضا جمع تقديم ولما فرغ من صلاته ركب حتى أتى الموقف فوقف عند الصخرات فى أسفل الجبل واستقبل القبلة وكان على بعيره وأخذ فى الدعاء والتضرع والابتهال إلى غروب الشمس وقد أوحي اليه وهو فى موقفه هذا بآخر اية من الكتاب العزيز وهي قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا)

وبعد أن غربت الشمس أفاض من عرفة من طريق المأزمين وكان يلبي ولا يقطع التلبية حتى وصل إلى المزدلفة فتوضأ ثم أمر المؤذن بالاذان ثم أقام فصلى المغرب ثم صلى العشاء الاخيرة بأقامة وبلا أذان واستراح حتى عند طلوع الفجر صلى الصبح فى أول وقتها ثم ركب حتى أتى موقفه من المشعر الحرام فاستقبل القبلة وأخذ فى الدعاء والتضرع ثم سار مع الاسفار وقد التقط له ابن عمه عبد الله بن عباس سبع حصيات من حصى الخذف

حتى أتى جمرة العقبة فوقف فى أسفل الوادى وجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه واستقبل الجمرة وهو على راحلته فرماها بعد طلوع الشمس واحدة بعد واحدة يكبر مع كل حصاة وقد قطع التلبية ثم أقبل على الناس يخطبهم بكلامه البليغ (وهو خطيب الامم وقد أوتي جوامع الكلم صلوات الله وسلامه عليه)

ثم انصرف إلى المنحر بمنى فنحر ثلاثا وستين بدنة بيده الشريفة ثم تنحى وأمر عليا أن ينحر باقى المائة وكان نحر هذه الثلاث وستين بدنة اشارة إلى سني عمره الشريف

ثم استدعى بالحلاق وهو معمر بن عبد الله فحلق له رأسه الشريفة والناس يتهافتون عليه وهو يوزع عليهم الشعر حتى ما كان يصل شيء منه الى الارض . وقد حصلت نكتة لطيفة من سيد الظرفاء إذ يقول للحلاق يامعمر لقد أمكنك رسول الله من شحمة اذنه وفى يدك الموسى. فقال معمر والله يارسول الله ان ذلك لمن نعمة الله علي ومنه . قال أجل

ثم أفاض الى مكة قبل الظهر راكبا فطاف طواف الافاضة وبعض الناس قالوا انه سعى والبعض قال انه لم يسع وقد صلى الظهر بمكة ثم رجع الى منى من يومه ذلك فبات بها فلما أصبح انتظر زوال الشمس فلما زالت سار الى الجمار ماشيا ورمى الثلاث جمرات ثم عاد باليمن والاقبال وكذلك فعل فى ثلاثة أيام التشريق، وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز (واذكروا الله فى أيام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم اليه تحشرون)

اتفقوا معى على هذا السير ماعدا المبيت فى منى عند الذهاب فانه غير ميسور لان البهيم الذي يجر العربة لا يستطيع المشي من منى فى الصباح ويستمر الى عرفات فى الحر وقالوا ان سيدنا رحمة العالمين لو سار فى الشمس

كان الغمام يظله ومن جهة اخرى فقد كمله الله تعالى فى الصبر والقوة والقدرة على تحمل المصاعب وغير ذلك من الكمالات التى لا يدانيه احد فيها عليه الصلاة والسلام . وقد صمموا ان نستمر سائرين يوم التروية الى ان نصل عرفة ليلا فقبلت

روحانية مكة المكرمة

ومدة اقامتنا بمكة المكرمة كنت لا استغرق فى النوم نوما طويلا عميقا وما هذا إلا من هيبة المكان والروحانية العظيمة ببلد الله الحرام

ومن الغريب اننى كنت اضل الطريق كثيرا وأنا عائد من الحرم الشريف فكنت أعد هذا من الذهول لحرمة المكان وهيبته لان مكة المكرمة ليست متسعة كثيرا حتى وان الانسان لا يهتدى الى طريقه بسهولة

نظرة فى التجارة

حب الاستطلاع الذى هو غريزة فى كل نفس الجأنى الى النزول الى سوق الشامية وشارع المسعى وما يتفرع منهما لاتعرف كنه الاحوال التجارية فى هذا البلد الامين فكنت اجد البضائع المعروضة فى السوق وخصوصا المنسوجات . والمنسوجات هي الضرورة الثانية من ضروريات الحياة (وهي الكساء بعد الغذاء) وكانت أغلب المنسوجات من صنع أوروبا عدا بعض الحرائر التى تصنع فى بكين أو طوكيو أو كلكوتا وسواها من بلاد الشرق وقد توجد أصناف أخرى تصنع في بلاد شرقية أيضا مثل المسبحات والقلائد الخرز أو الكارم ونحوها

ويعرض بالسوق أيضا بعض العقاقير التى تنبتها ارض الحجاز كالسنبل والخزامى والحنا ودم الاخين وغير ذلك . ومن الاصناف التى تنبت في ارض اليمن وغيرها من بلاد الشرق كالبن والفلفل والكبابة الصيني وما اليها وقد يجد الانسان معظم طلباته ولا سيما الاصناف التى تؤخذ بصفة هدايا وكنا نشترى الكثير منها

وكل الحوانيت على الطراز الشرقي (بالمصاطب) ومفروشة بالطنافس أو الاكلة ونحوها وليس عليها لوحات يعرف منها اسماء أصحابها

ولا يدخل على التجار أي تنغيص فى حياتهم التجارية لان ديونهم ليست بسندات قابلة للانذار (البروتستو) كما هو الحال فى مصر بل ان القاعدة عندهم هي العمل على مقتضى حكم الكتاب الكريم (وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة)

ولا أكون مبالغا اذا قلت ان التجار هناك لا يزالون على الفطرة القديمة أيام كان المشترى يطلب من التاجر قطعة صابون مثلا فيبيعها له ولما يطلب منه شيأ آخر يرشده الى ان يشترى من جاره لانه (لم يستفتح بعد) تلك الايام الهنيئة التى كانت بعيدة عن ضوضاء هذه التى يسمونها المدنية وخبلها حيث كانت القلوب ترتبط برباط وثيق من الحب والاخلاص . أما الآن فحدث ولا حرج عن المضاربات والمزاحمات والمكايد والقدح والذم وما الى ذلك من أنواع المثالب . وحدث أيضا عن جشع التجار حيث لا يشبع نهمهم حدود محلاتهم بل يتطلعون الى جيرانهم وما يصل اليهم من رزق

فالتجارة هي احدى الموارد الثلاث التى عليها مدار الحركة الاقتصادية فى كل البلاد (وهي الزراعة والتجارة والصناعة) والتجارة مهنة شريفة كان يزاولها كثير من النبيين والصديقين

تجـــارة ابى بكر

ولما أفضت الخـلافة الى سيدنا ابى بكر الصديق أصبح وقد أخـذ سلعته وهي (قطعة من قماش) ليبيعها بالسوق كعادته وفى أثناء الطريق قابله سيدنا عمر فسأله عن وجهته فاجابه الى السوق لاسعى على رزق عيالى فقال له ان لك من مشاغل الخـلافة مايستغرق كل أوقاتك فلا تستطيع العمل فى التجارة ولا بد ان نجعل لك خرجا حتى تتفرغ للنظر فى شؤون المسلمين

وكان سيدنا ابو بكر الصديق هذا تاجرا صادقا وفى الحديث (ماامل تاجر صدوق) ومما يحكى عنه

انه نزل الى السوق ومعه قطعة قماش بها عيب ولما عرضها على المشترى سهي عليه ان يظهر له العيب الذى بها وتمت صفقـة البيع ولما تذكر سيدنا ابو بكر ما بالقطعة من العيب امتعض ولم يهدأ له بال حتى عثر على الرجل فى بلد بعيد بعد بحث دام بضعة أيام ولما أظهر للمشترى العيب قال له اننى أعجب بامانتك هذه وأود ان أكون أمينا مثلك فخذ هـذه النقود بدل النقود التى أعطيتك اياها لانها كانت زائفة

وعلى هذا فبركة الامانة جعلته يحصل على الكسب الحـلال فى الدنيا وهو يرجو حسن ثواب الآخرة

النصيحة من الايمان

فالامانة هي رأس مال التاجر ورأس الحكمة مخافة الله تعالى وهـذه التقوى هي جسر العبور على بحر هذه الحياة الخضم المتموج بانواع الرزايا والاحن . والتقوى هي التى تباعد بين التاجر وبين التعامل بالربا ورب

قائل يقول انه لايمكن الاستغناء عن الاستدانة بالربا . ومن رأيي انه يمكن الاستغناء عن هذه الاستدانة مادام ان التاجر لايخرج عن حده ولايوسع دائرة عمله أكثر من طاقته . والتقوى هي التي تجعل التاجر ان يتحاشى التبذير وان يقتصد فى معيشته حتى يحفظ المال الذى فى يده وهو أحوج مايكون الى المال

ويجب على التاجر ان يتجنب الغش والحلف وان يكون صادقا أمينا ناصحا يقنع بالربح الذى ليس فيه غبن على المشترى هذا عدا انه يتعلم فن مسك الدفاتر ليعرف دخله من خرجه . والمدارس التى انشئت لتعليم الحساب التجاري هي خير مرشد لمن يريد ان يرقى بتجارته الى مستوى النجاح ويجب أيضا ان يكون نشطا خفيف الحركة هاشا باشا لايثير غضبه مساومة الاسعار باليخس فاذا فعل هذا فانى ضمين بان يكون الفلاح حليفه

ويجب على التاجر أن يكون تاجرا فحسب ولا يكون محتكرا لان أغلب التجار يذهب بهم طمعهم الاشعبي الى تخزين كمية من البضائع زيادة عن حاجتهم بأمل أن يرتفع السوق عليها أو انه يحتكر الصنف لزيادة الربح ثم تأتى الرياح بعكس ما تشتهيه سفينته التجارية فيكون مآله الى الخراب والدمار وكثير من البيوت التجارية جرها الطمع الى مهاوى الافلاس فاصبحت فى خبر كان

والتاجر أيضا لا يدخل فى سوق المضاربات لانه ما دخل فيها أحد ونجح مطلقا وكم من عزيز ذل وغني افتقر من تماديه فى السير مع هذه المضاربات

الازمة واسبابها

هذا وكان السوق كاسدا نظرا لقلة الحجاج فى موسم هذا العام بسبب تأثير الازمة الماليه التى تعتبر أنها من ذيول الحرب الكبرى لان العالم كان فى زمنها كمن يجرى فى شوط بعيد وهو ينهك قواه ولا يبالى بما يعتريه من الضعف لانه يريد أن يصل الى غرضه حتى اذا وضعت الحرب أوزارها حل عليه التعب وجاء رد الفعل ونشأت الازمة من وقوف دولاب الحركة

لان المعامل الصناعية قد تحولت وقت الحرب الى معامل ذخيرة وأصبح الناس لايجدون طلباتهم من الحاجيات فكثر الطلب وقل العرض وحصل الغلاء الشديد فى الاسعار ولما عادت هذه المعامل الى عملها بعد الهدنة وكثر العرض وقل الطلب نزلت الاسعار وهذا النزول أدى بكثير من البيوت التجارية التى كانت تحتكر كثيرا من البضائع الى التدهور وتسبب عن ذلك ارتباك كبير فى الحالة المالية العامة

وأيضا فان أوروبا اثقلت كاهل رعاياها بالضرائب لتسدد الديون التى استدانتها أثناء الحرب ومن هذه الناحية جاء الارتباك المالي أيضا

وأوروبا هي الميزان الحساس الذى يعرف منه الناس درجة الحالة المالية فى العالم

اوروبا والمـــادة

والباحثون الذين حنكتهم التجارب يتوقعون لمدنية أوروبا السقوط من حالق لانها تقام على الماديات الصرفة وليس لها اهتمام فى هذه الحياة الا بالحصول على المادة بصرف النظر عن الواسطة التى تبررها غايتهم . وكل

علماءها لا يبحثون الا فى المادة ولا يعبأون بالروحيات مطلقا التى لا بد لكل إنسان ان يسمو بروحه الى الكمال الاخلاقي حتى يتصل بالعالم العلوي . نعم اننا انتفعنا بابحاثهم المادية هذه ولكن كم من عافية تتحول الى انتكاس وكم من نفع يجر الى ارتكاس

الحكيم العربي يقول عن لسان الطير الذى يصنعون من ريشه الاوتار لاقواس السهام . بماذا ادعو عليك ايها الانسان وانت تحرمنى من ريشى ؟ ادعو عليك ان تقتل نفسك بسهمك

وهذا هو المسيو (نوبل) تراه يخترع الديناميت ويعرضه بيمينه لهلاك نوعه ثم هو فى الوقت نفسه يقدم بيساره (جائزة نوبل) لحفظ السلام (فياليتها . . .)

ثم انظر الى المطارات عند اختراعها تجد أول مابدأت به من العمل اكتشاف الحصون وكيف تلقى المدمرات على الآمنين والمستضعفين

وقس على هذا باقى المستحدثات التى يخترعها الانسان لهلاك أخيه الانسان . ومع هذا فان البحث فى هذه الحالة لايحتاج الى منطق أو بيان لاننا نعرف بالبديهة (ان لكل بداية نهاية) وأوروبا قد وصلت الى رأس القنة فاين تصل بعد هذا ؟ بالطبع انها تخلي الطريق لغيرها من المدنيات . وستعلم نبأه بعد حين

الازمة فى مصر

الاسباب المادية للازمة المالية كثيرة جدا منها ان الحرير النباتي اصبح يزاحم قطننا المصري فى صناعته لان هذا الحرير ذو رونق يروق فى نظر الرائى . ومنها ان الضائقة اضطرت الناس الى استعمال الاقمشة الرخيصة الثمن وجلها

مصنوع من القطن الامريكي وما فى رتبته اما قطننا فلا يصنع منه الا الاقمشة العالية الغالية وهذه ناحية من النواحى التى جاء منها الكساد الى القطن والقطن هو عماد ثروة البلد ولو كنا التفتنا الى منتجات أخرى سواه لمرت علينا هذه الازمة كسحابة صيف

ولقد توجد أسباب أخرى كثيرة غير هذه ولكن الكلام فيها يخرج عن موضوع بحثنا هنا اما الذى يعنينا ونعلق عليه كل الاهمية ان هذه الازمة لها علاقة مباشرة بالاخلاق . لان المزارع لو أخذ التقوى شعاره لتقدمت أحواله وما كانت زرعته من ابتداء بذرها لغاية حصادها وهي غارقة فى حمأة الربا ويالیته الربا فحسب ولكنه الربا الفاحش المقطوع بحرمته حتى من القوانين الوضعية نفسها وكان يمكنه ان يخلص نفسه من أيدى المرابين الذين لا يتركونه الا بعد ان يمتصوا آخر قطرة من دمه وذلك بتمسكه باخلاق الدين القيم فلا ينهمك فى الملاذ التى أهدتنا بها قشور هذه المدنية

ولو اقتصد كل القصد فى معيشته بان يترك سكنى المدن ويرضى بالاقامة فى قريته وسط حقله ليباشره بنفسه لاستقامت أموره كلها

وبما ان دهماء البلد وسوادها هو الفلاح والفلاح مهنته مبروكة وشريفة لانها أول عمل عمله الانسان الاول عند ماهبط الى الارض . فيجب علينا ان نحيط هذا الفلاح بكل عنايتنا وان نقدم له كل المساعدات المادية والادبية

العمال العاطلون

من العجب العجاب ان تكون أوروبا هي القابضة على صولجان المال فى العالم ثم نسمع بان عندها شيأ آخر اسمه (أزمة العمال العاطلين) وقد نشأت هذه الازمة من جملة أسباب وأكثرها أهمية هو وجود كارثة

أخلاقية كبرى فى أوروبا نجم عنها هذا العطل للعمال وذلك أنهم يشغلون البنات فى المناصب ويتركون البنين عاطلين. فالتاجر يريد أن يغرى زبائنه على التردد الى متجره باستخدام الجميلات من الفتيات وهذا ضعف أخلاقي تنفر منه الطباع السليمة وتأباه النفوس الزكية والمصارف كذلك تستخدم الفتيات .والمصالح الحكومية تعين الآنسات أيضا حتى تتمتع أنظار الرؤساء بهؤلاء المرؤوسات الحسان

تالله انهم لو كبحوا جماح أنفسهم ومنعوها أن تسترسل مع شهواتها واستخدموا الرجال وحتموا عليهم الزواج من هؤلاء الفتيات لما وجدت عاطلا يتلكأ فى الطرقات

وانك لتعجب من أن بعض الشبان عندنا يغرهم برق هذه المدنية الخلاب فيقترحون استخدام الفتيات فى الوظائف حتى يتساوين بالشبان. شيء عجيب جدا : ان هذا الكاتب يود أن يجلس على (الترابيزة) ساعات عمله القليلة ولا يحرم نفسه من مغازلة زميلته (انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور. وأنى اسائل هؤلاء المقلدين هل ألحقتم كل الشبان بالوظائف حتى احتجتم إلى استخدام الفتيات ؟ وأحسب أن الذى يجيب على هذا السؤال هي كشوفات طلبات الاستخدام فانه عندما يعلن عن طلب شبان للالتحاق بالوظائف تجد الالوف يتقدمون اليها حتى ولو كانت حقيرة

صحيح أننا نحتاج إلى معلمات لتعليم البنات حتى لا يختلطن بالرجال المعلمين . ونحتاج إلى طبيبات لعلاج السيدات . ونحتاج إلى ممرضات لتمريض المريضات . وأخيرا نحتاج إلى تعليم البنت لان تدير حركة البيت وتدبر شؤون العائلة وهذا هو الذى خلقت له

شيء عن المرأة

من الغريب جدا أنك تجد الكثير من الناس يلتهبون غيرة ويتوقدون حمية لتحرير المرأة ولست أدرى ولا المنجم يدرى فى أي وقت استعبدت هذه المرأة . وهذا هو الاسلام يأمرنا بالاحسان اليها ومعاملتها بالرفق واللين . وهذا البدوي القح يعبر عن حسن معاشرة المرأة بما يقع تحت نظره إذ يقول (المرأة كالفرس الكريم تكرمها وتمسك زمامها)

ولكن هذه السفسطة هي لان القانون السماوي يأمرنا بأن نكون قوامين على النساء وهم لضعف فى نفوسهم وخور فى عزيمتهم يتنحون عن هذه القوامة والقائد الذى يتخلى عن القيادة وسط الميدان لا بد أن يكون جبانا والف جبان

وما دام ان الكلام قد وصل بنا الى ذكر المرأة فانى أظهر اعجابى بالسيدة المصرية لما قامت به من المساعدة فى كل أدوار قضيتنا الوطنية ونهضتنا القومية ولا أجد ما اطريها به أبلغ من كلام الزعيم الخالد الاثر وهو يمتدحها بخطبته البليغة فى حفلتنا التى احتفينا به فيها إذ يقول

ان للسيدات دخلا كبيرا فى نهضة الاقوام عموما وان لهن فى نهضة مصر خصوصا ذلك الاثر الجميل حيث اظهرن فى النهضة الحاضرة من الشجاعة والاقدام ما أعجب به كل واحد منا بل ما أعجب به كل ناظر الينا وقد وقفن موقفا كان فخارا لنا وكتبن بأعمالهن المجيدة صفحة من أحسن الصفحات فى تاريخ النهضة المصرية

وانى مع هذا الثناء والاطراء لا أود الا أن تكون كالزهر فى كمه وكاللؤلؤ المكنون فى صدفه . كما يود لها الاسلام وهي ريحانة البيوت أن

لا يتعرض الريحان الى لوافح النظرات فيعتريه الذبول

فالسيدة وظيفتها كبيرة جدا وهي تربية السلالة الحاضرة حتى تنشأ وهي أعضاء ناعمة فى جسم أمة رشيدة فأرجوكم أيها السادة أن لا تشغلوها عن وظيفتها هذه الهامة فأنكم تريدون أن تستدرجوها من خدرها الحاجة فى نفس يعقوب

جبل ابى قبيس

صعدت الى جبل ابى قبيس هذا الجبل الامين الذى حفظ فيه الحجر الاسود وديعة حتى ينتهى الطوفان ولما أمر الخليل عليه السلام ببناء البيت المطهر تسلم الوديعة من الجبل ووضع الحجر مكانه فى الركن ليكون علامة لابتداء الطواف

هذا ابو قبيس الذى انشق فيه القمر لسيد البشر وهـذا ابو قبيس الذى تشرف بصعود سيد الانبياء عليه ليبشر وينذر

رقيت الى أبى قبيس المبـارك وكانت توجد منازل كثيرة فى طريق الصعود اليه وهناك فى ذروته موضع انشقـاق القمر وموضع وقوف أبى الانبياء وغير ذلك من الآثار الخالدة والمشاهد العظيمة التى تأخذ بالالباب ذكراها المجيدة

وقد يجلس الانسان على حافة الذروة فيشاهد البيت المشرف والناس يطوفون حوله ويرى بطاح مكة العزيزة وجبالها وشعابها فتحلو له الذكرى بخطرات الحبيب الكريم

ثلاث وخمسون عاما من حياة الانسان الكامل الشريفة وهو يجوس خلال هذه الديار ويؤم طرقاتها وأوديتها . انه لشرف عظيم يضـاف الى

شرف المكان وعزه حتى أقسم الله تعالى بهـذا التشريف حيث يقول عز شأنه فى كتابه المكنون (لاأقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد)

كنت فيما مضى أصعد الى أبى قبيس فلا أجد بذرونه موضعا لقدم من شدة الزحام وكانت أصوات الابتهالات تكاد ان تبلغ عنان السماء من الدعوات الحارة التى يلقيها الحجاج كما يلقنهم إياها المطوفون ولكنى لم أجد الآن الا القليل من الناس وبعض صبيان المطوفين يتسللون خفية مع حجاجهم وكان فوق الجبل قوم يتعيشون من عطايا الزوار وقد انقطع عنهم هـذا المدد الآن

هبطت من الجبل المبارك وفى سفحه جبل الصفا فوقفت عنده انظر الى الساعين واستمع الى تسبيحهم وتمجيدهم فتخشع نفسى وتستكين جوارحي لان هذا السعي لله وفى الله وكان الناس أصنافا شتى منهم السوداني والهندي واليمني والشامي والجاوي والنجدي والبعض كان يسعى حثيثا أي أنه يجرى طول مسافة السعي وسبحان من خلق الخلق وله فيهم شؤون

اللحوم والخضر والفاكهة

الاغنام فى الحجاز تأكل أعشابا لا تأكله أغنامنا فتصير مادة اللحم مغايرة للنوع الذى نأكله عندنا ولمناسبة هذا التغيير فى المرعى يحسن بنا أن نأكل منه بغير افراط . واللحم على كل حال يجهد المعدة فى هضمه لهـذا تجد أكثر الناس ينصحون بالاقلال منه

وقد تجد الخضارات متوفرة مثل الملوخية والبامية والقرع والبطاطس والطماطم وغير ذلك وهي تجلب من الطائف ومن وادى فاطمة ومن سويلة ووادى الليمون وغيرها فكان الحاج طاهر أو زميله الشيخ حسن يشترى

لنا حاجتنا منها

وكذلك تجد أنواع الفواكه متوفرة أيضا فكنا نأكل المشمش والبطيخ والبرتقال والتفاح والخيار والقثاء والقاوون وغير ذلك. والبقول أيضا متوفرة والسمن كذلك واللبن كثير جدا يسرح به البياعون وينادون عليه فى كل مكان

بيد أن الاسعار غالية من غير شك لانه لا بد أن يعمل حساب لمصاريف النقل ويعمل حساب أيضا لقاعدة العرض والطلب لان الطلب فى موسم الحج يكون كثيرا فيرتفع السعر بنسبته

وفى مكة المكرمة قاعدة يتبعونها دائما وهي أنه ما دام أمامهم حاج فهو فى نظرهم كالبقرة الحلوب ولا بد أن تدر لبنا سائغا لهم فهم يطلبون من الحاج ثمنا للحاجات أكثر من أهل البلد. وكل انسان هناك (من الطبقة الواطئة طبعا) يمد يده الى الحاج يستندى كفه فكل سودانية أو تكروني واضرابهما لا بد أن يسألوه مالا وخصوصا فى الحرم الشريف فانك قل ان تجلس ولا يمر عليك الكثير من هؤلاء

ولا أجد ما ألوم به عليهم فى هذا لانه موسمهم

الجمعة الثانية والشرطة

جاءت الجمعة الثانية وهي توافق ٢٩ القعدة و ١٧ ابريل فذهبت مع صاحبى الى الحرم الشريف لاداء فريضتها وقد رأيت بعض الزوار قد عادوا من المدينة المنورة فجلست مع بعض معارفى أما صاحبى فانها لا بد أن تجلس فى المكان المعد للنساء وكنا لا نسمع الخطبة لبعد المسافة وكان المبلغون كثيرين فكنا نقوم الى الصلاة بتبليغهم

والشرطة السعودية لها مكان خصيص بها فى الحرم الشريف وكنت أرى الشرطي منها يقف فى تمام اليقظة خوف اندساس النشالين بين المصلين أو الطائفين وخوف اعتداء بعض الناس على بعض ونجد أيضا أحد العساكر واقفا بجوار الركن ليمنع ازدحام الناس على الحجر الاسود والحق يجب أن أقوله أن الحكومة ساهرة على حفظ النظام ومنع الجرائم حتى لقد عرفنا أنها فى العام الماضى أبعدت بعض المصريين لاشتباهها فيهم وقد بحثت مع الحكومة المصرية فى أمرهم حتى اتضح أنهم من أرباب السوابق فاراحت الناس من كيدهم ورحلتهم الى ديارهم

على جبل عمر

كان منزلنا بالشبيكة مقابلا لسكة تنفذ على جبل عمر فقمنا بعد العصر وسرنا من هذا الطريق وصعدنا مع الدور المقامة فى هذا الجبل بالتدريج مع مطلعه ولما بلغنا قمته اردنا ان ننزل من الجهة الاخرى فسرنا حتى وجدنا أنفسنا فى طريق منقطع بين جبلين فحصل عندى وحشة لاننى تذكرت الفوضى الماضية ولكننى تجلدت وقد افضى بنا المسير الى محلة العبيد التكارنة فاوجست خيفة من اعتداءهم ولكن هذا الوهم قد تبدد عند ماخرجنا منها الى شارع المسفلة ومشينا قليلا وجدنا مخفر الشرطة قائما بحفظ الامن بحيث انه بمجرد أي نداء أو استغاثة بسيطة يسمع المخفر الصوت وهذه الاخرى عددناها من حسنات استتباب الامن فى البلاد

وايضا الحجر الاسود

تألمت صاحبتى لعدم استطاعتها استلام الحجر الاسود بالنسبة لشدة

الزحام فى الاوقات التى كنا نتشرف فيها بالطواف وكذلك كنت اتمنى انا الآخر ان أكون سعيد الحظ لو وضعت فمى على الحجر الاسود مكان الفم الطاهر الشريف . هذا الفم الذى تفجرت منه ينابيع الحكمة وانبعثت منه أسرار علم الله المتين لما كان وما يكون فى هذا العالم الكوني العظيم . ولما كانت المنى لاتنال بالتمنى والقعود بل تنال بالاقدام والعمل ولا بد لمن يجنى الشهد من الصبر على لسعات نحله .فقررنا ان ننفض غبار الكسل ونهجر مضاجعنا فقمنا من المنزل عند ما انتصفت الساعة الثانية من صباح اليوم التالى ولما تشرفنا بزيارة الحرم الشريف وجدنا الطائفين قليلين جدا فتمكنا من استلام الحجر وتقبيله وهذا من فضل الله واحسانه والحمد لله رب العالمين

الزمن العربى والافرنكى

اننى حددت هنا زمن الساعة بالحساب الافرنكي لاقربه الى ذهن القارىء ولكن أهل الحجاز يستعملون الساعات بالزمن العربي (من الغروب الى الغروب وقد أدرت ساعتى مثلهم ولا يضيرنا لو استعملنا الساعة بالحساب الافرنكي لان زمنها (من الزوال الى الزوال) وكذلك الزمن فى الشهور فان العربية منها تكون على حساب منازل القمر والافرنكية على حساب تنقل الشمس فى البروج (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا) - قرآن كريم -

الجو والمياه فى مكة

اننا فى فصل الربيع والطقس عندنا فى مصر يكون عادة معتدلا بخلاف

الجو فى مكة المكرمة فان الحرارة تلازمه وقت وجود الشمس فكنا نحتاج الى المياه كثيرا

والمياه الآن فى مكة المكرمة متوفرة جدا لان مجارى الماء من عين زبيدة جارى العمل فى اصلاحها أولا بأول ويأتى الاعراب من ناحية الطائف ومنى وعرفة وغيرها فيشتغلون فى حرفة السقاية فى زمن الموسم فيحمل الرجل منهم الصفيحة أو الصفيحتين ليبيعها الى الحجاج وكنا نشترى الواحدة بهللتين أي بنصف قرش سعودي أما أهل مكة فيشترونها بهللة واحدة أو يأخذون من رواتبهم من السقايين

وكان جفاف الجو يساعد كثيرا على تبريد المياه فعند ماتملأ القلة الفخار التى يسمونها (الشربة) وعند ماتمكث فى الهواء كنا نشرب منها ماء عذبا فراتا يحسب الانسان انه مبرد بالثلج

هذا ويوجد مصنع للثلج فى مكة المكرمة حيث تجد انواع الشربات والغازوزة بالثلج وتجد أيضا المياه المثلجة لو اردت

العملة فى مكة

هذا والريال السعودي فى الحجاز يساوى اثنين وعشرين قرشا سعوديا وقد يوجد له نصف ريال وربع ريال وهي مسكوكة من الفضة. اما القرش السعودي فانه مسكوك من النيكل وله نصف قرش وربع قرش وهذا الربع هو الذى يسمونه (هللة) وهذه التسمية من زمن العملة القديمة أيام حكم الاتراك والهاشميين

أما العملة المصرية فان التعامل بها فى مكة أسهل من كل عملة أخرى حتى ومن عملة البلاد نفسها (السعودية) لان وحدتها اعشارية فيسهل التعامل

بها وكل التجار يجتهدون أن يبيعوا بها . فالورقة النقد المصري تساوى خمسة ريالات مصرية والريال المصري يساوى عشرين قرشا مصريا وستة وأربعين قرشا سعوديا . أما الجنيه الانجليزي فانه يصرف بماية قرش مصري ولكنه فى الدوائر الرسمية لا يصرف الا بسبعة وتسعين قرشا ونصف قرش

والصيارف فى مكة وسواها من بلاد الحجاز كثيرون فى زمن الحج وهم يتخذونها حرفه (وهم بالطبع مسلمون) لانه لا يقيم فى الحجاز غير المسلمين الا فى ثغر جدة حيث الضرورة تقضى بوجود قناصل الدول ومن يعاونهم

محلة جيـــاد

هي أكثر بقاع البلد عمرانا لانها آهلة بالكبراء من أهل مكة المكرمة وبها دار الحكومة ومصنع الكسوة الشريفة والمستشفى الحجازي ومحل الكهرباء وهو المولد الكهربائى لانوار الحرم الشريف

وقريبا منها مصلحة البريد وهي كائنة بجوار احد أبواب الحرم المسمى (باب ابراهيم) وكان البريد يصلنا عن يد المطوف فى الاوقات التى تصل فيها البواخر التى تحمل البريد

وكانت الرسائل التى ترد الي من أهلى تبـاعا خير شاهد على حسن انتظام مصلحة البريد بالحجاز

التكية المصرية

وهناك فى هذه الجهة أيضا (التكية المصرية) وكم كنت أغتبط وأفرح عند ما أمر عليها وأرى الفقراء جلوسا فى انتظار الطعـام الذى يوزع عليهم

منها . وكانت الدنيا لاتسعنى من شدة السرور عند ماأرى بلادى العزيزة لها اليد الطولى فى أعمال البر والعطف على أبناء هذا البلد المقدس لهذا كانت عقيدتى دائما بان مصر وهي كنانة الله فى أرضه لاتضام ابدا وان من أرادها بسوء قصمه الله

انه لشيء يثلج الصدر ويبهج النفس ولكن يجيش فى صدرى خاطر يضطرنى الاخلاص لبلادى وللانسانية أيضا لان أبينه هنا وعسى ان يجد صدرا رحبا ممن لهم الهيمنة على ادارة هذه التكية

التكية كلمة أعجمية تعريبها (دار العجزة) وانى رأيت كثيرا ممن يوزع عليهم الطعام غير عاجز بالمرة بل تبدو على ملامحه العافية والقوة واظن انه ليس من الانصاف ان نعود هؤلاء الاقوياء على الكسل والقعود حيث يأتيهم رزقهم رغدا بغير كد أو تعب

نعم انى التمس بعض العذر لمن لهم الاشراف على ادارة هذه الدار لانهم مقيدون بما يمليه عليهم الواقف فى حجة وقفيته بان الذى يوزع من الخبز والطعام يكون بالمقدار الذى يعينه . ولكن لما كان غرض الواقفين من هذه الارصادات اجمالا هو فعل الخير والبر بصرف النظر عن التفصيلات التى أوضحوها فنحن نساعدهم أيضا ونوجه ماأرصدوه الى الخير المحض (وكل وقت يعطى حكمه)

اننا نوزع الطعام على العجزة فقط وعلى من أخنى عليه الدهر من العائلات والذى يفيض بعد هذا ننشيء به دارا كبيرة للاستشفاء لعلاج المرضى والزمنى داخلا وخارجا

هذا وكانت توزع أيضا مرتبات وهدايا وعطايا لعائلات كثيرة من الحجازيين والبدو بقصد البر والاحسان ولكنها فى الحقيقة ليست من البر

ولا من الاحسان بل انها كانت تعطى فى السابق ثمنا لكف أذى هذه العائلات عن الحجيج وعن المحمل الشريف وأصبحت عادة استمر العمل بها الى الآن

فاذا رأى المشرفون على كل هذه الارصادات ان ينشئوا معهدا للعلم بمكة المكرمة والمدينة المنورة على طراز ازهرنا الشريف لتهذيب النفوس المتعطشة الى العلم النافع وهذا التهذيب مما يساعد على انتشار الامن والامان والمثل يقول (كل مدرسة تغلق سجنا)

انه لو حصل ذلك لكانت ترتاح أرواح الواقفين فى قبورهم . وهذا ماعن لى أبديته ورائدى طلب الاصلاح وحب الخير

اول دار للعبادة

كانت لاتزال فى نفسى رغبة شديدة لزيارة دار الارقم بن ابى الارقم المعروفة الآن بدار (الخيزران) وقد تنبه كما قلنا على المطوفين بأن لا يلفتوا أنظار الحجاج لمثل هذه الاماكن فسألت رجلا من البدالين يجلس امام حانوته فاشار الى زقاق قريب من الصفا فدخلته ووجدت فى انتهاءه الى اليسار دارا مغلقة ومكتوب على عتبة بابها من الاعلا كلمات مذهبة وكان رجال من أهل مكة جلوسا امام دورهم بالزقاق وقد تأثرت حتى اغرورقت عيناي بالدموع أسفا على غلق هذه الدار وهي أول مكان عبد الله تعالى فيه على دين الاسلام الحنيف

فان كان منع الناس عنها لتبركهم بمن كانت البركة مجسمة فى ذاته الشريفة فلنتمسح باعتابها ولنمرغ جباهنا على أرضها تبركا بذات الله عز وجل الذى عبد فى هذه الدار

كما وان التاريخ يكتب لها صفحات من تبر مسبوك لانه خرج منها سيدنا حمزة بن عبد المطلب على رأس صف من سادتنا الصحابة وسيدنا عمر بن الخطاب على رأس صف آخر وخرجت نواة الاسلام الممثلة فى أنوار هؤلاء الاقمار أقمار الهدى والرشاد وهي تدرج الى الحرم الشريف . خرج هؤلاء الكواكب المتألقة وبينهم السيد الكامل صلوات الله وسلامه عليه وكانوا لايتجاوزون الاربعين عدا الى ان وصلوا الى البيت المطهر ليعبدوا الله جهرة كما عبدوه خفية وهذا شأن عظيم يجب ان نحفظه لهذه الدار

القوم عندنا فى مصر يعتنون جد الاعتناء بحفظ آثار الملوك والامراء وكان أولى بنا ان نحتفظ بالآثار التى درج الاسلام منها حتى ترعرع واشتد ساعده بفضل الله تعالى وبفضل مثابرة هؤلاء السادة على الجهاد فى اعلاء شأنه حتى أصبحنا نتنعم بنعمة الاسلام التى لاتعادلها نعمة أخرى فى هذا الوجود

وايضا فى الطواف

لايخلو يوم من أيامنا السعيدة التى تشرفنا فيها بالاقامة فى هذا البلد الامين الا ونحن نطوف بالبيت المطهر أو نصلى فيه أو نشاهد الكعبة المشرفة حيث قد ورد ان الله سبحانه وتعالى ينزل فى كل يوم وليلة مايه وعشرين رحمة على هذا البيت المطهر منها ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين

وما أحسن منظر الطائفين وهم فى المطاف يموجون كالبحر الزاخر فمرة ترى نفسك بجوار بناء البيت لصيقا به ومرة تقذفك الامواج خارج المطاف وترى الوف الورى وهم يتضرعون ويبتهلون ويخشعون ويبكون ويتباكون

وما أحسن هذا المنظر المفرح حين ترى الديموقراطية تتمثل بأكمل معانيها فى هذا الطواف فالناس كلهم - واسية يطوفون فى مقام واحد لافرق بين الامير والحقير والرفيع والوضيع والعبد والحر الكل سواء فى المطاف لايزاحم احد احدا ولا يعتدى احد على احد

جبلة بن الايهم

انى وأيم الله ان لم أكن مسلما لوددت ان أكون مسلما لان روح الاسلام العالية وتعاليمه القويمة تمتزج مع الفطرة فترتاح اليها النفس ويهدأ لها الحس

وقفت أتأمل فى هذه الديموقراطية الحقة والمساواة العادلة فراح بالى إلى حكاية جبلة بن الايهم الغسانى أحد ملوك الدولة الغسانية بغوطة الشام وقد أسلم وذهب إلى الحج ولما كان بالمطاف داس على ردائه أحد الاعراب فتلبس بالغضب وصفع الاعرابي على وجهه فالتجأ هذا الى أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب ليشكو له هذا الاعتداء وقد أبت عليه نخوته أن يقبل الدية مطلقا بل ظل متمسكا بطلبه فى القصاص لهذا صمم سيدنا عمر على أن يقتص من جبلة ولكن هذا كبر لديه أن يتساوى ملك مع سوقة فى الحقوق فهرب إلى هرقل ملك اليونان بالقسطنطية وتنصر هناك .

فليتأمل عشاق المدنية الحديثة فى مبادىء دينهم السهل الحنيف الذى هجروه فجهلوه والانسان عدو مايجهله

الرقيق والاسلام

قد حافظت الحكومة السعودية على تقاليد اسلافها فى خدمة الحرم

الشريف واستمر الاغوات على خدمتهم له وسيأتي يوم ينقرض فيه هؤلاء الخصي لان النخاسة أصبحت ممقوتة فى نظر العالم باجمعه وقد انتشرت فكرة الغاء الرقيق فى كل مكان

ومن الغريب أنك تجد الافرنج ونفوسهم تذهب حسرات على الرقيق وفى الوقت نفسه تراهم يوقعون شعوبا وأمما فى حبائل اسرهم واسترقاقهم

ثم هم يدعون بأنهم أصحاب فكرة الغاء الرقيق وقد سبقهم الاسلام الى هذا الفضل لانه يحث الناس على التزوج من الاماء والحكمة من هذا أن يقل الرق تدريجا ولكن المسلمين لم يفطنوا إلى هذا الاصلاح العظيم وظلوا متمسكين بالتسري ارضاء لنفوسهم

التضلع من زمزم ايضا

كانت تحلو لنا اليقظة وقت التهجد فقمنا قبل فجر يوم الاثنين ٢ الحجة ٢٠ ابريل وتشرفنا بالدخول إلى الحرم الشريف حتى نتمكن من التضلع من ماء زمزم المبارك فى وقت ليس فيه زحام فنضح لنا الزمزمي بالدلو شربنا وفرحنا وسررنا . ولقد تذكرت يوم أن وقف الانسان الكامل وطلب أن يملأوا له الدلو ليتضلع منها وقال (لولا أنى أخشى تزاحم الناس على السقاية لملأت بنفسى) ودار فى ذهنى أيضا ذكرى أيام السقاية لحد أن وصلت الى سيدنا العباس بن عبد المطلب وكان لها شأن عظيم فى الجاهلية وصدر الاسلام لانهم كانوا يملأون الاحواض من هذا الماء المبارك ويخلطونه بالتمر والزبيب ويقدمونه شرابا سائغا للحجاج وكانت قريش تعمل هذا افتخارا حيث كان عندها السقاية هذه وعندها أيضا الرفادة وهي

ضيافة الحجيج والحجابة وهي مفتاح الكعبة المشرفة وغير ذلك من التشريفات.
أما الشرف الاعظم هو ظهور النبوة العالية منها زادها الله شرفا وعزا

ويوجد ناس بالحرم الشريف يتخذ الواحد منهم جانبا من أي مكان به ويملأ بعض القلل الفخار ويبقيها عنده حتى تبرد ويعرف هذا الرجل باسم الزمزمي ويستخدم عمالا من تحت يده يسقون الناس . وكل مطوف يلحق حجاجه (الموسرين) عند واحد من هؤلاء الزمزميين ليجلسوا عنده ويأخذوا أيضا كفايتهم من الماء المبارك

وكان الزمزمي الخاص بنا يبعث الينا الماء المبرد (فى القلل) من زمزم المبارك ثم يحضر الصبي فى اليوم التالى . ويأخذ الفارغ ويحضر بدله الملآن. وكان يبعث الينا بالصفايح المملوءة من هذا الماء أيضا للاستحمام به مرات عديدة كذلك وقد بعثنا اليه بالقماش الذي استحضرناه للكفن لاجل أن يباركه بالغسل من ماء زمزم المبارك

هذا وبعض الناس يملأون بعض العلب الصفيح من ماء زمزم المبارك وتلحم هذه الصفايح بالقصدير ويأخذونها الى بلادهم للتبرك ولكن أغلب هذا الماء يعتريه الفساد فيتغير طعمه

احرام الكعبة المشرفة

وفى هذا اليوم أحرمت الكعبة المشرفة بان رفعت الكسوة الشريفة من الارض الى الاعلا نحو المترين ووضع مكانها قماشا أبيض

وكنت استحضرت معى طيبا لاضمخ به الكعبة المطهرة

وكنت أسمع من بعض النسوة المصريات المترددات على الحج وهي ترى الكعبة محرمة فتقول (عقبى لكل سنة ياأختى) فكنت لاأتملك نفسى

من الضحك من شدة السرور لهذا الكلام الفكه الصادر عن سلامة نية وسذاجة ولكن المقام يقتضى التأدب لانه من اللازم ان يتأدب الطائف فى الطواف كما يتأدب المصلى فى الصلاة

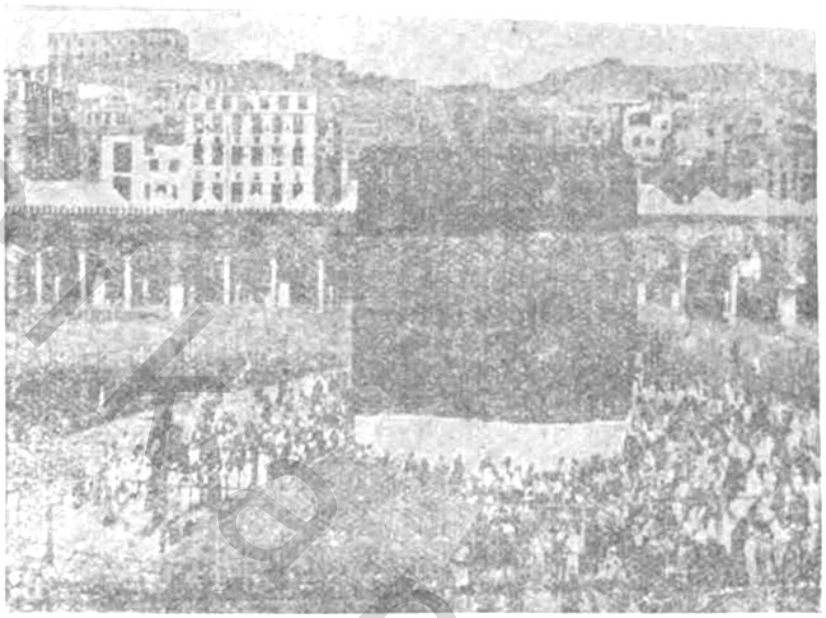

الكعبة المشرفة فى الاحرام

اننا لو أخذنا كلام هذه المصرية على ظاهره لعددناه بساطة بل نذهب الى أكثر من هذا فنعده بلاهة ولكن عند ما نوجهه الى حقيقته نجد انه دعاء للمسلمين بان العقبى للكعبة فى بقاء الاسلام قائما مرفوع الرأس رغما أنف حساده ومبغضيه حتى يأتى ابناؤه ويحجون اليها فى كل عام

ونجد أيضا انه دعوة الى المسلمين ونداء لهم بان يحجوا حتى يجنوا فوائد الحج العظيمة مادية ومعنوية وحتى يقيموا ركن الاسلام الخامس ادامه الله قوي الاركان مرفوع البنيان وان يلهم أهله بتعرف كنهه حتى يعبد الله تعالى حق عبادته فى الارض ليتفضل ببقاء أهلها عليها لان الاسلام هو الدين الذى اختاره عز وجل لعبادته بدليل قوله تعالى (ان الدين عند

الله الاسلام) واذا لاقدر الله وانقرض الاسلام فلا بقاء للنوع الانساني على ظهر الارض لقوله تعالى (وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون ماأريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون)

الاخلاق فى مكة

لم تزل نفسى توافقة الى التبرك ببئر ذى طوى فذهبنا عند الاصيل الى جهة جرول وهناك تبركنا بماء هذه البئر وهو فيه بعض الملوحة ثم استأجرنا عربة صندوق من هناك سارت بنا من الخلاء من ناحية كداء إلى أن وصلنا المجزرة فالمعلاة فأوقفنا العربة قليلا لنستدر الرحمات على هذا الجدث الطاهر الذى ضم رفات السيدة الجليلة خديجة بنت خويلد وقد تقدم الينا ناس من البدو يحترفون الشحاذة وبينهم رجل عجوز لطلب الصدقة ولما سبق وأن زعت عليهم منها قبل هذه المرة فاعتذرت بعدم وجود (فكة) معى فقال العجوز إذا أردت أن تفك ريالا أو نصفه أفكه لك فتسرعت ورددت عليه أنه ما دام عندك هذا المقدار من المال فلماذا تتسول ؟ فانهال علي دعاء وشتما وتقريعا وكان جوابى عليه السكوت التام كما أمرنا الله تعالى فى قوله الحكيم (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الالباب)

ان هذا الرجل هو من حثالة البدو وما ينبغى أن اتخذ وقاحته هذه مقياسا لاخلاق المكيين لانه ليس منهم . ولقد ينسب البعض الى المكيين شيئا من الحدة فى الاخلاق ولكن الذين يعنونهم هم طبقة البياعين والمكارين ومن اليهم وهؤلاء مثلهم فى كل أمة

أما الطبقة المتنورة فهي على جانب عظيم من حسن الخلق . ولكنهم لما وجدوا أنفسهم وهم يأوون الى ركن ركين من جوار بيت الله المحرم فهم يعتزون بهذا الجوار وياحبذا هو من جوار

شيء من التاريخ

مشؤومة جدا كانت رصاصة سراجيفو التى اشعلت البارود فى أوروبا حتى اندلع لهيب النار فى القارات الخمس . وكان دم الارشيدوق ولي عهد النمسا كدم السيد يحيي بن ذكريا صار يفور ويغلى ولم يهدأ حتى أريق عليه دماء الملايين من البشر وكأنى بالفتنة وقد استيقظت حتى أصبح العالم كريشة تتقاذفها الرياح فلا تستقر على حال حيث ترى المؤتمرات والانتقالات والسفر الى العواصم كل هذا خوفا من شبح الحرب حتى تجد كبار الساسة يضعون أكفهم على وجوههم حتى لا يروا هذا الشبح المخيف ينقض على الانسانية مرة أخرى فيقلق بالها

هذه الحرب الضروس قد غيرت معالم كل شيء حتى جعلت المرأة تثور على المجتمع فبعد ان كانت المرأة الافرنكية تشد (البوست) على خصرها لتحجب ردفها وتقاطيع جسمها وتضع نقابا خفيفا على وجهها أصبحت والسفور لا يكفيها بل انها اقتصت من أطراف ثوبها حتى أظهرت ماتحت الفخذ وما فوق الساعد ولم يكفها أيضا انها تركت البيت ينتدب سوء حظه بل انها تريد ان تزاحم الرجل كتفا لكتف فى الحياة العملية . ومن الاسف اننا نرى عندنا بعض القوامين على النساء وقد رضوا من نسائهم بمجاراة المرأة الغربية ولا يعلم الا الله تعالى الى أي مدى تصل بنا هذه الحالة الهادمة لكيان الامم

كانت الانسانية قبل الحرب ناعمة البال هادئة السر وكانت دولة الادب عالية الذرى رفيعة العماد فبينما ينقلون الينا شعر بيير لوتى وأدب مدام آدم جولييت وغيرهما من كتاب الافرنج اذا بنا نرى بنات القرائح يتضوع اريج زهرها فى شعر شوقى وحافظ وصبرى وأدب المويلحي ومحمد مسعود وعلى يوسف ومصطفى كامل وحافظ عوض والبشري وغيرهم من أعلام البيان وفحول الكتاب والادباء

ومن ناحية أخرى كنت تسمع صرير الاقلام على قراطيس الصحف وهي تنقل اليك أدب الجاحظ وشعر أبي الطيب والفرزدق وغيرهم

وبجانب هذا كانت أسرة الطرب تعطف على الانسانية فتحيي وجدانها وتوقظ شعورها بما تشنف به مسامعها من نغمات الحان المثانى ونبرات أصوات المغانى التى كانت تزيح الوجد المبرح بالنفس وتنفس الكرب عن القلب المحزون . وكان عماد هذه الاسرة عبده افندى الحامولى والشيخ يوسف المنيلاوى ومحمد افندى عثمان وفى الطبقة الثانية منهم الكثير من الفنانين

ولقد ذكرت هؤلاء لاذكر الشيخ يوسف المنيلاوى وقد دعى بعض أصدقائه لحفلة سمر خصوصية بمنزله بكوبرى القبة وكان ضمن المدعوين عبده افندى الحامولى فتناول العود ليجامل زميله وصديقه وتصادف ان دخل أحد اصدقاء الشيخ يوسف وكان لا يعرف الحامولى فقال هذا الصديق على الشيخ يوسف وهمس فى أذنه (من هذا الذى ينعر دعه ينقطنا بسكوته وغن لنا انت ياشيخ) فاجابه الشيخ (هس. هذا عبده افندى الحامولى) فاعتدل الرجل فى جلوسه وقال (إيه. الله الله . كمان والنبي ياسي عبده)

الاعتذار

قلت لمن أتحدث اليه من أصدقائى بعد ان قصصت عليه هذا القصص مارأيك ومعظم نجاح الاعمال يتوقف على بعد الصيت وسعة الشهرة ولقد أقدمت على كتابى هذا ولا شهرة لدي تجعل القارىء ينظر الى الكتاب نظره الى شيء قيم ؟

فاجابنى ان قيمة المرء وما يتقنه وانه لكل كريم هفوة ولكل جواد كبوة فاعتذر الى القراء كما يفعل الكرام الكاتبون فى مستهل كتبهم . وها انا ذا استميح القراء عفوا ان كبا اليراع أو هفا

كلمة فى الاخلاق

وما دام ان القلم قد يجد من حسن ظنه بالقراء كهفا يلجأ اليه من ملمهم فأنه يكتب الآن شيأ عن الاخلاق بغير اسهاب

اما اهل الحجاز فانهم يتمسكون بتعاليم القرآن المجيدة ويتخلقون باخلاق حكامهم المستقيمين والناس على دين ملوكهم

والمرأة الملكية يزينها الحياء والخفر وهي تحافظ على الحجاب فلا ترى الا ملابسها تستر جميع بدنها ولو فتحت على نفسى بابا من المقارنة بينها وبين المرأة المصرية لما استطعت غلقه فى كلمة أو كلمتين وامامى هنا فى مكة المكرمة النسوة المصريات اللائى حضرن لاداء فريضة الحج وهن يسرن متبرجات غير متحليات بحلية الادب والكمال بينما ترى النسوة الحجازيات والجاويات والهنديات والشاميات حتى والسودانيات جميعهن متمسكات بالحجاب

ويا حبذا لو فكرت حكومتنا السنية فى تعيين ملاحظين لحفظ

الآداب مدة الحج ليرجعوا هؤلاء النسوة الى حظيرة الحشمة والوقار حتى لاتشوه سمعة الامة المصرية بين الامم

الحجاب والاستهتار

بالطبع ان الكلام عن الحجاب تمجه أذواق الطبقة التى تعودت على مخالطة النساء فى أوروبا وهم ينظرون الى الحجاب نظرهم الى الشيء البالى العتيق لظنهم انه حجر عثرة فى سبيل العلم وما هو كذلك بل ان البنت البعيدة عن الاختلاط بالجنس الآخر يكون ذهنها خاليا من الغزل ومن الغراميات فيجد العلم فيه موضعا سهلا وموطنا خصبا وفضلا عن ذلك فان الحجاب يحفظ الانساب وهو عون للأسرة على ادارة البيت ادارة حازمة (ومن انقطع الى شيء أتقنه)

المثل يقول (لاحلاوة بغير نار) ومعنى هذا ان كل شيء يحتاج الى تضحية ولقد ضحينا كثيرا بل وكثيرا جدا حتى قذفنا بفلذات أكبادنا فى أتون الاستهتار والاستخفاف بالقوميات ازاء عودتهم للوطن مزودين بالعلم الذى ينهض بالبلاد الى الرقي والحضارة ولكنهم يعودون الينا وهم ينكرون كل ماألفوه فى وسطهم المصري ويريدون ان يصبغوا البلد بصبغة أجنبية وهذا خطر عظيم على قوميتنا وعلى كياننا

وعسى ان تقوم جامعتنا المصرية مقام جامعات اوروبا فى تثقيف الناشئة وتعليمها حتى نصبح ولا نحتاج الى بلاد المجون التى يقع فى حبائلها عماد المستقبل للبلاد

العلم والعقوق

لقد جبلت النفس على ان تكون أمارة بالسوء وكنا نأمل من هذا

العلم ان يهذب نفوس المنتسبين اليه وان يأخذ بيدهم الى رحبة الفضيلة الواسعة حتى يقلعوا عن العقوق بالوطن والوطن فى حاجة الى أبناء برره مخلصين

ان الوطنية ليست شقشقة ولا هي اجهاد الحناجر والهاب الاكف بل الوطنية الخالصة هي ان نتكاتف على اعلاء شأن الوطن ماديا وادبيا وان نتوخى النهوض به حتى يسمو الى مجده القديم

اليس من العقوق بالوطن ان يستعمل الشاب كل وسائل الحيل حتى يسلب الفتاة اثمن شيء لديها وهي العفة والعفة قد تراق على جوانبها الدماء . وان تمشي المرأة المصرية وهو يوجه اليها الكثير من هزج القول وفحش الكلام وهذه المرأة هي من بنات الوطن ويجب علينا حمايتها ؟

اليس من العقوق بالوطن ان يهتك ستر المصونات الابكار ويعبث بالاعراض والاعتبار ثم هو يستغني بهذا الفساد عن التناسل المشروع وقد يعتز الوطن بسلالة بنيه الابرار ؟

اليس من العقوق بالوطن ان ينفق مال الوطن فى الملاهى وفى بؤر الفسوق والعصيان والوطن فى شدة الحاجة الى هذا المال ؟

وأخيرا اليس من العقوق بالوطن ان يفضل الزواج من الاجنبية ويترك مواطنته تندب حظها التعيس ؟

فى شأن الزواج

ولقد وصلنا مرغمين إلى الكلام عن الزواج وهو قد أصبح فى هذا العصر من المشكلات العويصة والمقام هنا لا يسمح بأن نطيل البحث فى موضوعه ولكننا نحي باللائحة على من عقدوا مسألته حتى صارت أعقد

من ذنب الضب وهؤلاء هم الذين تنكروا لكل شيء مصري وهم لو ضحوا بشيء من ميولهم وبروا بوطنهم لرأوا أن الواجب يقضي على كل منهم بأن يتملك عواطفه ويروض عروسه حتى تأنس بطباعه وأن يحاسنها ويلاطفها لانها بطبيعة خلقها ضعيفة وتحتاج إلى المواساة

وما دامت أن البنت كاتبة حاسبة ومؤدبة ونزيهة فهذه هي الزوج الصالحة . ولكن شيئا آخر يطلبه المتفرنجون . أنهم يطلبون الوارثة الثرية المتفرنجة المتبرجة برفع النظر عن الاخلاق أو الدين أو الناموس

ثم وهذه الامة التي يأمرها دينها بالتبكير في الزواج لاكثار النسل وهي لا تصدع بأمره بينما أمة الالمان تفرض ضريبة على الاعزبين حتى ترغمهم على الزواج . ولقد سمعنا عن أمة الترك أنها لا تسلم رخصة السيارات الى السواقين إلا اذا قدموا شهادة تثبت زواجهم وهذا من قبيل الحث على الزواج حتى يعول الرجال النساء

يا حمـــاة الامن

الان وقد استفحل الداء وعز الدواء (وآخر العلاج الكي كما يقولون) فأننا نجأر الى القائمين بالامر فينا ونطلب منهم حماية المرأة باسم القانون الذي هم حماته . نطلب منهم صيانة الفضيلة التي هم نصراؤها . نطلب منهم تنفيذ القوانين واللوائح التي تأمر باقامة بوليس الآداب ليحمي الآداب من أيدي هؤلاء المقوضين لدعائم العمران والاجتماع

يا حماة الامن . انه عند ما تهرق دماء الفضيلة على مذبح الشهوات يضطرب حبل الامن فتصبح مهمتكم شاقة فاعملوا على حفظ اخلاق الامة حتى لا تتدهور إلى مهاوي الرذيلة فتذهب ريحها وتفشل في كل أمورها

الدين واخلاق القرآن

أننا لو ذكرنا هؤلاء المفتونين بالدين وأخلاق الدين يقولون رجعيون يريدون أن يرجعوا القهقري بالامة عدة أجيال وما هذا الا من جهلهم بالدين

فالدين لا يامر بالفحشاء لان الله سبحانه وتعالى يكرم الانسان ويربأ به أن يجعله كالسوائم ضائع الانساب (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله أتقاكم) ـ قرآن كريم ـ

الدين يامر بأخراج الزكاه حتى لا تستيقظ فتنة الاشتراكية التى ترتعد منها فرائص العالم وترتجف لها كل أعصابه

الدين يبعدكم عن الخمر والميسر لحفظ أموالكم التى هي قوام حياتكم..

وبالجملة ان كل تعاليم الملة الحنيفية هي لسلامة النوع الانساني وحفظه من شرور نفسه ونزغات عدوه أما ما سوى ذلك فان الله سبحانه وتعالى لا تنفعه عبادتكم ولا تضره معصيتكم (ان تكفروا انتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغني عن العالمين)

هذا ولا بد أن أذكر شيأ من اخلاق القرآن الكريم حتى يتجلى جلاله وجماله البهيج أمام أنظاركم حيث يقول الله تعالى عز وجل

(وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين إحسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا . ربكم أعلم بما فى نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا . وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا . واما تعرضن عنهم ابتغاء

رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا. ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا . ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا . ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا . ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا . ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا . وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا . ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا . ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا)

ثم يقول عز شأنه فى موضع آخر عند وصاية لقمان لابنه

(يابني أقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك لمن عزم الامور . ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير . ألم تروا ان الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة)

الامن والعدل ايضا

والامر الذى كان يستلفت نظرى انه عند ماكنا نتفسح فى أنحاء البلد لم نجد أحدا من الحجاج يمشى فى الخارج مطلقا وهذا ناشىء من الخوف الذى تأصل فى النفوس من السيرة القديمة ايام كان البدو يفتكون بالحجاج

كلما انفرد أحد منهم ويدخلون البيوت التي يسكنون بها وخصوصا الطبقة السفلى منها ويقتلونهم ويسلبون أمتعتهم . اما الآن فانك تجد الدور مفتوحة ولا يغلق باب على أي دار حتى وان الغرف التي كنا نسكن بها ليست لها أبواب بل كنا نجعل ساترا على الباب ليحجب الانظار فحسب وما هذا الا من هيبة الحكومة وسطوتها ومن عامل الله وجده

نعم ان من يجعل رضاء الله تعالى نصب عينيه لابد ان يكلأه ويرعاه ويسهل له الصعاب ويلين له قلوب العباد . ولما كانت هذه الحكومة السعودية تحكم البلاد فى حدود أحكام الشريعة الغراء فانها تمكنت من اقامة قسطاس العدل حتى لزم كل فرد من أفراد الرعية حدود الاستقامة فلم تجد سارقا ولا ناهبا ولا فاتكا ولا مستهترا ولا فاسقا ولا ولا

تتفزز عواطف المتمدينين وتسيل أكبادهم رقة وحنانا على من تقطع يده فى حد السرقة فلماذا لا تقطع يمين هذا السارق حتى يرعوى الناس عن السرقة ونكون قد ضحينا بفرد لاجل سلامة المجموع . وهذا أزكى وأبلغ من الحكم بالنزول فى (تكايا) السجون فيعود المجرم الى الاجرام بشراهة . ولو أقمنا الحد أيضا على من يعاقر الخمر ماوجدت سكيرا يتخبط بين الحوائط ثم يتمدد فى الشارع حتى يمضى ليلته نزيل السجون

لما دوخ سيدنا ومولانا عمر بن الخطاب بلاد اليونان واقتص من أطراف ملكها أرسل اليه القيصر هرقل من يودى بحياته الغالية غيلة ولما ذهب هذا المغتال الى المدينة المنورة وصار يتعقب سيدنا عمر الى ان ذهب خارج المدينة فوجده نائما تحت ظل شجرة ووجد وحشا كاسرا يلعق قدمه فقال الجاسوس (عدلت ياعمر فحرستك السباع) ثم عاد أدراجه ولم يفز بطائل فالعدل هو أساس العمران والعدل تستقيم به البرايا

حمـــام الحمى

كنا نلقى الحب الى حمام الحمى وما أجمل هـذا الحمام وهو يملأ الحرم الشريف وكل دور مكة المكرمة ولا يقربه احـد بسوء (لان الصيد فى الحرم حرام)

وهذا الحمام موجود من قبل الاسلام لانه مذكور فى شعر الحارث بن مضاض من الجرهميين الذين كانوا ولاة البيت . وقيل ان الحمامة التى عششت وباضت على غار ثور وقت ان اختبأ فيه الحبيب والصديق عند الهجرة الشريفة هي من جنس هذا الحمام حتى دعى لها سيدنا مجاب الدعاء بالبركة . وقيل ايضا بان حمـام الحمى هذا قد ظلل على الفـاتح العظيم يوم الفتح الاعظم لتقيه حر الشمس ومن التجا الى اعتـاب مولاه يسخر له كل شيء

ولقد لاحظت ان هذا الحمام لايقف على سطح الكعبة المشرفة الا نادرا جدا

ولحرمة الحرم الشريف وهيبتة قد جعلت له حدود يأمن فيها الحيوان والنبات من التعرض لهما فيمنع فيها الصيد ويمنع ايضا ان يعضد شوكها أو يختلى خلاها (اى حشيشها) ويقول الله سبحانه وتعالى (اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) وقال تعالى ايضا (وجعلنا البيت مثابة للناس وامنا)

الجمعة الثالثة بالحرم الشريف

وكانت توافق ٦ الحجة و٢٤ ابريل ولما تشرفنا بالدخول لاداء صلاتها

بالحرم الشريف كان الزحام بالغا أشده لان الحجاج كلهم مجتمعون استعدادا للوقوف بعرفة وكان منظر الناس وهم جلوس حول الكعبة الشريفة يروق للاحداق وكانت تشرأب اليها الاعناق . وهم يولون وجوههم شطرها من جميع الجوانب وهي فى الوسط كالقمر تحيط به هالته

ان معظم الحرم ليس مسقوفا والشمس محرقة ولم يكن بأرضه فراش يجلس عليه الناس بل كنت أرى المطوفين يستحضرون أكلة زرقاء لحجاجهم وهي من نوع واحد الامر الذى فهمت منه ان هذه الاكلة من متعلقات الحرم الشريف

ولقد فرشت سجادتي على الحصى وجلست تحت المظلات (التندات) الموضوعة من الخشب امام البواكى اما صاحبتى فانها جلست فى المحل المخصص للنساء .

وبعد ان أدينا الفريضة وخرجنا من باب العمرة تفقدت (كيس) الفضة فلم أجده وكان به نحو الاربعة ريالات سعودية (فكه) وانا الذى فرطت فى الاحتفاظ به بل انا الذى أغريت الحرامي على السرقة لاننى كنت أخرج منه النقود للفقراء الذين حولى ثم وضعته فى الجيب الخارجي حتى تمكن النشال من نشله بسهولة اثناء الزحام وهذه الحالة الشاذة لاتعتبر قاعدة لحصول مايماثلها من السرقات لاننى لو كنت احتفظت بهذا الكيس كما أحتفظ بالنقود الاخرى ماكنت فقدته

اهل جاوة

انك لتجد أغلب الحجاج فى مكة من الجاويين وللمكيين اعتناء خاص بقدومهم لانهم أكثر الحجاج نفعا لهم وهم يأتون من بلادهم كل عام قبل

الحج بنحو الخمسة أو الستة شهور ومذهبهم المبادرة الى الحج مادام الشخص منهم قد شب عن الطوق لانهم لايقولون ان الحج مفروض على التراخي بل انه يجب حالا عند الاستطاعة

وتراهم أيضا يحضرون الى مكة حتى يروحوا عن أنفسهم من استبداد دولة هولندا التى اغتصبت حرية بلادهم وهي تضيق عليهم الخناق فى شخصياتهم ومعتقداتهم كما هو شأن المستعمرين كلهم فانهم ينظرون الى الامم التى رماها سوء الطالع بالوقوع بين براثنهم نظرهم الى قوم متوحشين فيعاملونهم معاملة السوائم

ولا يزال يرن فى أذاننا أصوات استغاثة هذه الامم من استبداد هذه الدول بهم وما حادثة تنصير شعب بأسره عنا ببعيد

هذا وقد تنبه الجاويون الآن وعرفوا انه لامعنى لليأس مع الحياة ولا معنى للحياة مع اليأس فشمروا عن ساعد الجد لينهضوا ببلادهم من طريق تلقى العلم فتراهم يبعثون البعوث منهم الى مصرنا العزيزة وبعضهم يتلقى العلم بالازهر الشريف والبعض يلتحق بالمدارس المصرية

المدارس فى مصر

كل من يقول أن السياسة لا قلب لها فهو صادق لانها عندما تريد السير من اي ناحية فلا تبالى بان تجرف كل ما يصادفها من خير ومن احسان حتى لا يعوق طريقها عائق فكان محور سياسية اوربا فى الشرق يدور حول محاربة هذا الدين الحنيف لعلمها بانه دين المدينة الصحيحة دين الاجتماع والعمران

فلهذا قد تداخلت سياسة اوربا فى مدارسنا المصرية وقت ان كان لها السيطرة عليها فمنعت اقامة الصلاة وامرت بالغاء تدريس القرآن والديانة بها. ولكن

الحمد لله قد ارتحنا الآن كثيرا عندما وجدنا من المشرفين على ادارة التعليم عناية عظيمة بالاخلاق يشكرون عليها

وقد عددنا منع اختلاط البنين بالبنات والغاء المدارس التى كانت تندى جبين الفضيلة عددنا هذا بانه فاتحة خير نرجوا ان نصل بعدها الى ما نأمله من تقويم الناشئة والعود الرطب يمكن تقويمه بسهولة

الشرق والغرب

من يوم ان نشآ وهما فرسارهان اوفارسا ميدان وطيلة عمرهما وهما يشدان طرفي الحبل فرة غالب ومرة مغلوب وكل منهما فى كفة الميزان فمنهما راجح ومنهما مرجوح

ولكن الشرق هو مهبط الوحي ومهد العلم ومنبع النور والعرفان وقد اعتز اهله بهذه الفضائل فركنوا الى القعود وتركوا الميدان حتى احتله الغرب واستولى على ماتركه الشرق من عدة وعتاد

تدفقت سيول المعارف من بلاد الاندلس إلى أرض الفرنجة فاخصبت بعد أن كانت قحلاء مجدبة وأنبتت من الفنون ما أصبحوا يتطاولون به علينا وقد صاروا يحاربوننا بنفس سلاحنا

فانه وإن كان نجم الشرق قد أفل فانى لا أجد أبلغ من حكمة فى الشعر وهو ينهاه عن اليأس بقوله الحكيم

فدنياك يا شرق لا تجزعن
إذا اليوم ولى فراقب غدا

وكان قول (حافظ) شاعر مصر العظيم فألا حسنا على الشرق حيث أنه استيقظ من غفوته ونشط إلى السير بخطوات جبارة نحو مجده التالد

وانى أقول لهذا الشرق بأن خطواته لا تكون موفقة وسديدة إلا إذا اتكأت على سند قوي من الالتجاء الى مولانا الخالق الاكبر جل شأنه وعز سلطانه وهذا الالتجاء ينحصر فى كلمة واحدة صغيرة هي الاخلاق

فالاخلاق الاخلاق ايها الشرق الناهض فهي الحصن الحصين الذى يصون سعيك من كيد الكائدين

استعداد الناس للموقف

فى مساء هذا اليوم ابتدأنا نسمع رغاء الجمال وصياح الاعراب (الجمالين) ونشاط المطوفين وصبيانهم استعدادا لتجهيز الشقادف على الجمال لقيام الحجاج الى عرفة وكان هذا المنظر يبعث على السرور ويريح الخاطر ويثلج الصدر حيث ترى الجنسين من الحجاج يركبون فى الشقادف على الجمال والرجال منهم محرمون والنساء يلبسن ثيابا بيضاء وهن يغنين بالغناء الحجازي

وكانت امارات السرور والفرح تلوح على محياهم جميعا . وقد قام جيراننا القنائيون فى هذا اليوم الى عرفة أيضا . وكثير من الحجاج يقوم فى اليوم التالى وهو اليوم السابع من العشر الاوائل من شهر ذى الحجة هذه الايام المباركة التى أقسم الله تعالى بها فى كتابه العزيز حيث يقول جل شأنه (والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل فى ذلك قسم لذى حجر)

وفى التروية يوم الاحد ٨ الحجة ٢٦ ابريل جهزنا أنفسنا استعدادا للقيام الى عرفات فاغتسلت للاحرام ثم أحرمت وأحرمت صاحبتى أيضا بان لبست ثيابا بيضاء (والمرأة لها ان تلبس ثيابها المعتادة) وقد وضعت على وجهها غطاء غير لصيق به

الحج عن الغير

وقد كلفت الحاج طاهر ووالده الشيخ محمد مغربي وزميله الشيخ حسن بان يحج كل منهم نيابة عن واحد من أقاربي ويسمونه بمكة المكرمة (البدل) نظير اتعاب لهم فى ذلك

ولما كان المرحوم والدى قد أدى فريضة الحج قبل أن ينتقل إلى العالم الآخر . أما المرحومة والدتي فانها ماتت قبل أن تؤدى هذه الفريضة ولما ان سبق لى الحج غير هذه المرة فقد أردت أن تكون حجتى هذه نيابة عن والدتى فقلت (نويت الاحرام بالحج نيابة عن والدتى وأحرمت به لله تعالى لبيك الخ)

وقد جاءت والدتي فى المنام إلى صاحبتى وقالت لها (أرأيت الشال القطيفة الذى اهدانيه مصطفى ؟ (أنه لشال كويس) فاجابتها (أنا الاخرى عندى شال مثله)

وهذه الرؤيا التى تظهر فيها روح المرحومة والدتي غبطتها وارتياحها إلى ما أهديته اليها من الحج (الذى عبرت عنه بالشال القطيفة) ماهي إلا رد بليغ على من ينكرون انتفاع الاموات بما يفعله الاحياء لاجلهم من الترحم والدعوات الطيبات

فى طريق المشاعر

جاءت العربة بعد العصر فاخذنا الضروري من المتاع ومن الطعام وأخذنا (الزمازم) مملوءة بالماء وركبت أنا وصاحبتى قبل الغروب بساعتين

وسرنا مع عربتين تقلان ثمانية أشخاص من المغاربة ينزلون عند مطوفنا ولكنهم يقطنون بمنزل آخر

سارت العربة وقلوبنا تنبض بالفرح الذى كدنا ان نطير معه شعاعا وأخذت العربات طريقها من الغزة الى الحجون الى البياضية مع التلبية أثناء الطريق

امام القصر

مهمة القلم الآن ان يجول فى ميدان التعبير عما يدور بالخاطر اثناء وقوع أنظارنا على قصور الملك الفخمة بالمعابدة

عاهل الوهابيين الكريم يسكن القصور الشاهقة ويتنعم فى البذخ والترف حيث يجلس على فراش وثير ويتمتع فى عز نضير ويركب الخيل المطهمة والسيارات الفخمة . وكان سيدنا ومولانا المصطفى صلوات الله عليه يسكن دارا ليست مجصصة ولا مزخرفة ويعيش عيش الزهد والقناعة وكان مسجده الشريف على قامة وقد سار على سيرته الخلفاء من بعده .

فكأنى بهذا الملك العادل وهو يتمشى مع تقدم العمران فى نفسه ولا يتمشى به فى بيوت العبادة ودور الآثار الشريفة

اذن نكون اتفقنا على ان البدعة المعقوتة التى يعبر الدين عنها بانها ضلالة هي التى يغير المبتدع بها حكما من أحكام الدين فى أصوله أو فروعه مثل هؤلاء الذين ينكرون آيات الحجاب ويحبون ان تشيع الفاحشة فى المؤمنات ويتركون المرأة تمشى فى الاسواق تحيط بها نظرات الفساق وتختلط بالرجال هذا الاختلاط المزري المشين ومثل الذين يبيحون التعامل بالربا وغير ذلك من الامور المغايرة لتعاليم الشريعة الغراء

أما البدعة في العمران وفي تحسين المساجد وتشييد دور الآثار واقامة التذكارات لعظماء الرجال فلا اخالها الا مباحة والله سبحانه وتعالى يقول (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) فان قلتم اننا نعمرها بالعبادة فنقول ولماذا لا نعمرها بالعمران أيضا ؟

جبل النور

أقول له ياحاج ظاهر اصنع معروفا معي وبلغني مأربي من زيارة غار حراء الذي يسمونه في مكة (جبل النور) فيماطلني ويثبط همتي عن التوجه اليه وقد علمت ان هناك جنديا يقف قريبا منه فلا يمكن أحدا من الصعود اليه أو الدنو منه بل يقول له (ماذا يفيدك دخول الغار وهو كهف كان يعبد الله تعالى فيه انسان ولا شيء غير ذلك ؟) . سبحان الله. اليس هذا المكان هو الذي كان يتعبد فيه أول العابدين الليالي ذوات العدد حتى شرفه الله تعالى بالنبوة وهبط فيه روح الله يلقي عليه كلام الله؟

تالله انه ليجدر بنا ان نقيم عليه قبة من الابريز الخالص ونرصعها بالاحجار الكريمة ان لم يكن لخاطر النبي الكريم فكرامة لله الخالق العظيم نعم انه يجدر بنا ان نجل ونقدس هذا المكان الذي ابتدأت منه تنزلات رحمات المولى الرحيم فانقذ عبيده من التخبط في دياجير الشرك والضلال

ان عدم الاعتناء بهذه الآثار المباركة هو جحود للجميل وانكار للتضحية التي ضحاها اولئك الاخيار حتى جعلوا كلمة الله هي العليا وببركة جهادهم أسبغ الله علينا نعمة الاسلام والايمان

كل الامم يحفلون بتاريخهم ويدرسون لابنائهم سيرة سلفهم ويمثلون لهم الحكماء والعظماء منهم أحسن تمثيل . أما نحن فنقطع صلتنا بالماضي

ونخاف من التمسح بالاعتاب لانه كفر ونفاق . والحال انك لو سألت انسانا من السذج البلهاء عن هذا القبر أو الاثر لاجابك على البديهة ان صاحبه ولي الله ولا نحبه لذاته بل لصلته بالله سبحانه وتعالى

سرنا بعد البياضية بقليل واذا بصراخ يأتي لنا من الخلف (ان قفوا لان عربات الافغاني تعطلت) والافغاني هذا يقولون عنه انه حاكم (كابول) حاضرة بلاد الافغان وقد أقبل الى الحج ومعه زوجه وابنه ونساء ورجال أخر يبلغ عدد الجميع تسعة أشخاص وقد نزلوا عندنا مطوفنا أيضا واستأجروا لقيامهم الى عرفة عربتين من نوع الصندوق ولما قاموا من مكة المكرمة وتعطلت العربات استوقفونا لاجلهم فوقفنا قبل الغروب بجوار استراحة من الاستراحات العديدة التي في الطريق وبها المياه الباردة والشاي والقهوة

أوقف الغلام صالح السوداني حمار العربة التي تقلنا وكان حمارا صلبا جسمه كالبغل ويسبق الخيل وكان لا يقف في طريقه الا اذا أوقفوه وأيضا كانت حمولته خفيفة فلم يحصل له عطل طول الطريق

نزلنا وكان خير منزل وأكبر فضل وأعظم منة من الله سبحانه وتعالى ولو كان نزولي هذا لكسب بدرات من المال مافرحت كفرحي بغار حراء الذي كان امامنا مباشرة

هذا غار حراء الذي كان يتردد عليه سيدنا رحمة العالمين الايام العديدة يقوم فيها بعبادة ربه سبحانه وتعالى حتى أتاه الحق اليقين وأنزلت عليه أول آية من آيات ربنا عز وجل (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم)

تذكرت عند ماكان يغطه الملك بالغار حتى يبلغ منه الجهد أثناء

عرض القراءة عليه ثم ينزل عليه السلام من الجبل وفرائصه ترتعد حتى يصل الى زوجه الكريمة السيدة خديجة ولما أخبرها الخبر طيبت خاطره وعطفت عليه بقولها (انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فلا يخزيك الله أبدا) ثم انطلقت به الى ورقة بن نوفل (وهو امرؤ تنصر فى الجاهلية وعنده علم من الكتاب) وقالت له (أي ابن عم) استمع من ابن أخيك فاخبره الصادق المصدق خبر مارأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى انزل على موسى ياليتنى كنت فيها جذعا اذ يخرجك قومك قال (أو مخرجي هم ؟) قال نعم لم يأت رجل بمثل ماجئت به الا عودي وإن أدركت يومك لأنصرنك نصرا مؤزرا

تذكرت كل هذا وتخيلت خطواته الميمونة نحو الغار وهو ذاهب اليه ثم يعود منه ميمون الطلعة محمود النقيبة وكم كنت اتمنى ان أمرغ خدى على مواطىء أقدامه الشريفة

هذا وقد صلينا المغرب بجانب جماعة من العساكر السعوديين الهجانة وهم بثياب الاحرام بسبب طلوعهم الى عرفة لحفظ الامن والنظام

القومية الشرقيـــــة

كنت أعجب بالضباط السعوديين وهم بزيهم العربي وكوفيتهم الحريرية وعقالهم القصبي ويمتطون الهجن ويلاحظون مع عساكرهم حفظ النظام والحمد لله انه لم يحصل أي حادث مكدر بالطريق مطلقا

انني أكبر من هؤلاء القوم تمسكهم بقوميتهم الشرقية والمحافظة على زيهم العربي وهم يحملون أحدث الاسلحة

انك تجد العساكر فى عاصمة القطر الحجازي وفى المدينة المنورة أيضا يلبسون البدلة الخاكي مع الكوفية والعقال ولا بأس به من نظام

ولقد شاهدت حضرة الملك مرة وهو ذاهب الى الحرم الشريف لحضور غسيل الكعبة المشرفة ورأيته مرة أخرى غير هذه وهو بزيه العربي وكان يركب سيارة فخمة وفى مقدمتها على السلم جنديان يقف كل منهما على جانب منها وهما يلبسان ملابس حمراء عربية مزركشة ويتلو سيارته رتل من السيارات يقل حاشيته وخواصه وكنت أود ان أهتف له بالحياة لاعجابي بعدله الذى جنينا ثمراته من أمن الطريق

وكنت أعجب أيضا بكثير من الشرقيين لمحافظتهم على تقاليدهم كالمغاربة مثلا فان الفرنساويين يحكمونهم ويتحكمون فى أمورهم ومع هذا تراهم يحتفظون بزيهم حتى وان مولاي يوسف سلطان مراكش يجده بملابسه الوطنية فى احتفالات الافرنج وسط بلادهم . اما الهنود فحدث عن تفانيهم فى المحافظة على شرقيتهم وهذا زعيم الهند الاكبر (غاندى) وهو يضرب المثل الاعلا للشرق فى انكار الذات امام نداء الوطن ولقد تعرف هذا من حكمة كلامه اذ يقول - ان كل منوال انشئه فى بلادى يكون حجر الزاوية فى بناء الاستقلال المنشود وما الخيوط التى أنسج منها قميصى الا سلاح حاد أطعن به خصمى من ناحية الاقتصاد

متابعة السير

تابعنا السير وكنا نجد بالطريق بين كل مسافة وأخرى سبيلا مقاما على عريش من الجريد والقش وبه المياه العذبة لشرب الناس وشرب الحيوانات أيضا مجانا بغير مقابل

وكانت عربات السيد الافغاني لا تزال تتعطل بالطريق وكانوا يريدون ان يأخذوا حمارنا ويعطونا بدله من الخيل ولكننا لم نقبل ان نفرط فيه لفرط معزته عندنا لانه اعيي الخيل عن اللحاق به

ولما وصلنا الى منى نزلنا بناحية منعزلة فى مقهى مفروشة (بالخسف الخوص) وهي مقامة من الجريد أيضا ومن أشجار أخرى فتعشينا وشربنا الشاي وبعد ان صلينا العشاء سرنا على بركة الله تعالى وقد تركنا السيد الافغاني يسير على المهل واستمرت عرباتنا تسير وتستريح الى ان وصلنا الى مسجد نمرة بعد ان انتصف الليل

هذا رسم مسجد نمرة

ولم يكن معنا أحد يعرف محل الخيام الخاصة بنا فاضطررنا إلى المبيت

obeikandi.com

محلنا فجاء الغلام صالح السوداني (صبي صاحب العربة) وحمل الحمار منها ولما أن وضع (عريشها) على الارض صارت منحدرة أي عالية من الخلف وواطئة من الامام لانها ذات عجلتين كما أوضحنا فاستراحت صاحبتي بالعربة على قدر الامكان وجلست أنا للخفارة لحد ما تبين الخيط الابيض من الخيط الاسود استحضرت ماء من هناك وتوضأت وصليت الصبح وزرت مسجد نمرة هذا وهو مقام على الموضع الذى نزل فيه السيد المختار يوم عرفة فى حجه المبارك

إذا صح عون الله تعالى للمرء فان الصعوبات تهون أمامه ويجد العسير ميسرا . فكم كنت أتمنى أن ادخل عرفة فى اليوم التاسع كما دخلها سيد الخلق وقد أبى علينا ذلك صاحب العربة كما سبق القول حتى أنعم الله تعالى علينا وبتنا عند مسجد نمرة مرغمين لعدم وجود من يدلنا على محل الخيام

فى الموقف العظيم

قمنا مع شروق الشمس من هذا اليوم (الاثنين ٩ الحجة ٢٧ ابريل) وقد وصل الحاج طاهر وهو يدعو ثبورا وويلا كثيرا لان السيد الافغاني أهانه على أثر غضبه من تعطيل عرباته أثناء الطريق

فى الخيام

وكان المطوف حسن افندى كتوعة قام قبلنا ونصب خيمته الخاصة به وتوابعه وخيمة أخرى للمغاربة الثمانية وخيمتين للسيد الافغاني ونصب لنا خيمة صغيرة منقوشة بنقوش عربية وبجانبها (بيت الماء) كعرف

أهل مكة المكرمة وهو المرحاض من القماش وكانت الخيام منصوبة عند جبل الرحمة تماما . وقد دفعت عن هذه الخيمة جنيهين اثنين أجرة لها

ولدى وصولنا قابلنا عمال المطوف وحملوا الامتعة ودخلنا إلى الخيمة ففرشنا السجادة وجلسنا لتناول طعام الافطار وشرب الشاي وبعدها حضر الشيخ حسن عامل المطوف وذهب معنا إلى جبل الرحمة فى الموضع الذى وقف فيه سيد ولد آدم وكان ينبه الناس بقوله الشريف (انى وقفت هنا وعرفة كلها موقف) ثم أخذنا فى الدعاء والتضرع والابتهال

وقد رأيت بعرفة سوقا كبيرا يباع فيه أنواع المأكولات من لحم نيء ومستوى وخبز وخضار وفواكه وبقول ولبن وجبن وكل هذا يعرض بالخيام حيث لا بناء هناك

استرحنا بعد هذه الفسحة (الروحية) الى أن جاء أوان الظهر صليته مع الجماعة بخيمة المطوف وصلينا معه العصر جمع تقديم ثم أخذنا فى التلبية والدعاء والاستغفار حيث أنه قد حان وقت الوقوف من بعد الزوال

وكان حجنا يوم الاثنين وهو يعادل ثلاثين حجة كما ورد أيضا أن حج يوم الجمعة يعادل سبعين حجة ومن يوفقه الله تعالى لان يحج فى هذين اليومين يكون بمثابة مائة حجة والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق

جلال الموقف وفائدته

غاية ما وصل اليه جهدنا من العبادة والتقرب الى مولانا القريب المجيب عز وجل فى هذا اليوم العظيم انا جلسنا فى الخيام نسأله تعالى المنة والاحسان وربما أن البعض منا غط فى نومه وذهبت روحه مع الاحلام ولكن ليس هذا هو المراد من هذا الموقف الذى ما شرع الا لنفع

الانسانية والرفعة بها الى مستوى ترى به الابداع فى الملكوت الاعلى وتسمو ببصيرتها الى معرفة أسرار اللاهوت العظمى على قدر ما يسعه ادراكها

حكمة الموقف هذا ان يحشر الناس نهارا يهرعون الى بارئهم متجردين من زينتهم كاشفين لرؤوسهم ومهطعين اوهم يجأرون اليه حتى يدخلهم سبحانه فى كنفه العالى ويضرعون اليه بصلاح الحال والمآل ويؤمنون على دعاء الامام الذى يقف فى سفح جبل الرحمة على الصخرات مكان ماوقف امام المتقين

فان قال قائل بان لاضرورة هنالك ان يتعرض الناس فى الحر ولكن يجب ان نتعرض لهذا الحر حتى وبغير المظلات التى لانخطو خطوة الا وهي على رؤوسنا . نعم يجب ان نقف تجاه الامام فى الحر لنتذكر يوم العرض على خالق السموات والارض والشمس تدنو من الرؤوس فيتصبب الناس بالعرق حتى يبلغ مواقف الاقدام

كنا فى عام ١٩١٠ نقف بعيدا عن جبل الرحمة ونرى الامام على مد البصر وهو يلوح بمنديله فتصعد أصواتنا الى عنان السماء بالتلبية والدعاء واليوم صرت أعلل النفس وأمنيها بانني مادمت قريبا من الصخرات فانه يتسنى لى ان أرى الامام عن كثب بل وأسمع كلامه أيضا اذا قال شيأ ولكن أمالى ذهبت أدراج الرياح حيث انتظرت الامام فلم أره ولا رأيت من يخبر عنه بخبر الا انى شاهدت بعض الجنود السعوديين ينزلون الناس الذين كانوا يصعدون الى الجبل

نعم اننا سمعنا بان سمو الامير فيصل نائب مملكة الحجاز قد قام الى الحج فى يوم التروية فبات بمنى ثم أتى الموقف أميرا للحج وبالطبع انه قام بما يجب على الامام فى هذه الاحوال ولكننا كنا نرجو ان يظهر الموقف

بروعته وجلاله حتى يأتى بالاثر المطلوب

كنا نود ان يسمع كل الحجيج الخطبة من رجل ذى صوت جهوري حتى يأذن الله تعالى بصلاح الاحوال ونستحضر آلة (الميكروفون) المكبرة للصوت ليصل كلام الخطيب الى أسماع كل أهل الموقف

وياحبذا لو بذلت المساعى لاجتماع الحجاج جملة واحدة فى وقت واحد وصعيد واحد لاستماع الخطبة كما نسمعها يوم الجمعة وأهمية هـذه الخطبة عظيمة جدا لان المسلمين يجتمعون كل عام من كل العنـاصر

فيحسن ان يؤلف الخطبة لفيف من العلماء الاكفاء ويكون مغزاها الحث على الوفاق ونبذ الشقاق بين عناصر الاسلام. وترتبط الامم الاسلامية بعقد حلف وثيق تتحد فيه العناصر غـير المسلمة الداخلين فى ممالك الاسلام . ويحسن أيضا ان تترجم الخطبة الى لغـة الاغلبية من المسلمين كالهندية والجاوية وبعد ان يلقى الخطيب خطبته باللغـة العربية يلقى نصها الخطباء الآخرون باللغات الاخرى

اقتراح فى العمران

انى شاهدت رجالا يبحثون عن امرأة ضلت عن مضاربهم عنـد ما خرجت لازالة الضرورة وهذا مانستلفت اليه أنظار الحكومة السعودية حتى تجعل فى عرفة علامات ظاهرة مثل راية ملونة توضع على قاعدة عالية كعامود خشب أو حديد يكتب عليها رقم المنزل وعلامته (أي لون الراية) وكل جماعة من المطوفين ينزلون حول العلامة التى يعطى لهم رقمها ولونها وتأمر المطوفين ان لايتعدوا هذه العـلامة كما ويجب على كل مطوف ان يعطى لكل من حجاجه بطاقة يبين فيها اسم ورقم وصفة علامته فى الموقف

وان أعوز الحكومة المال لهذا الغرض فلتسن ضريبة على الحجاج لتغطية هذه النفقات

الصحة العـــامة

أما من جهة الامور الصحية فانى أبدى سرورى وارتياحى للعناية بالصحة العامة حيث أقامت الحكومة المستشفيات والمستوصفات فى مكة المكرمة وهي تقوم بواجبها فى انقاذ الانسانية من مخالب الامراض الفتاكة فهي تطبب الناس وتعالجهم لافرق بين جنس وجنس وكانت هـذه المستوصفات تتنقل مع الحجاج فى عرفات وفى منى وكانت الاسعافات الطبية تلبي عند الطلب باسرع وقت ممكن . وكان بودى ان أبين هنا اسماء المستشفيات والمستوصفات وما اليها من أطباء وممرضين وصيدليين وأنواع العقاقير وعدد الذين يعالجون بها ولكننا فى غنى عن هذه التفاصيل مادامت النتيجة كانت سارة وباهرة

أضف الى هذا أيضا الاعتناء بالتفتيش الصحي الدقيق . ولقد رأيت من الاعتناء فى عمل الوقاية الصحية بان شاهدت فناطيس المياه ترش حامض الفنيك فى شارع منى

وكذلك قد منعت الحكومة الناس عن ذبح الذبائح سواء أكانت أضحية أو فدية أو للغـذاء مطلقا بين المضارب والخيام والعساكر يمرون لتنفيـذ هذه الاوامر

وفقط أن لى ملاحظة ابديها مع الاحترام وهي انى وجـدت الحجاج يتبرزون بجوار الخيام وهذا مما يساعد على انتشار الامراض والاوباء فلو أمرت الحكومة المطوفين بان يحفروا حفائر بعيدة عن الخيـام ويقيمون عليها حواجز بصفة دراوى للرجال ومثلها للنساء

وقد يهون أمر قضاء الحاجة فى عرفات بالنسبة لاتساع المكان اما فى منى فان الحال يحتاج للدقة التامة فى تعيين منازل المطوفين مع حجاجهم وفى حفر أماكن التبرز وتجديدها عند امتلاءها وحتى فى المبانى الكائنة هناك

الأوبة بالغنيمة

عند ماكاد ركن النهار ان ينهار قام عمال المطوف بهدم الاطناب وطوي المضارب بعد ماجمعنا أمتعتنا وجاء الغلام صالح السوداني بعربتنا يجرها الحمار الذى ماوهن ولا تعثر حتى كانت الخيل لم تلحق له غبار

ركبنا عربتنا مع باقى العربات وسرنا لحد آخر حدود عرفة وكان الشفق يبدو فى الغرب بلونه القرمزي أنذانا بان الشمس قد توارت بالحجاب هنالك تحققنا بان مضينا لحظة من ليلة النحر بعرفة كما هو تعريف الشرع الشريف وتحققنا أيضا بانه قد صح حجنا كما هو القول المأثور (الحج عرفة)

نفرنا من العلمين وقد انتقدت بعض المطوفين لافساد هذا الركن على حجاجهم حتى انهم يبارحون عرفة قبل الغروب

وكان منظر الحجاج فى النفر (النزول من العلمين) كالسيل ينحدر من المكان العالى فيلقى فى النفس روعة وفى القلب فرحة فيتحرك اللسان بالتسبيح والتمجيد لمولانا العزيز الحميد

انها لفرحة لايعادلها فرحة لانا خرجنا من ذنوبنا كيوم ولدتنا امهاتنا وقد تفضل المولى الكريم جل ثناؤه وتعالت كبرياؤه برضائه وتحننه على أهل هذا الموقف ونظر اليهم بنظرات رحمته عند النفر من عرفة فكان كل